

كقل الورد

مجموعة قصصية

وهاب آقباش
ترجمة: د. محمد حرب

مكتبة الاداء العربية للكتاب



عقل

الورد

GÜLÜN AKLI

Copyright© Muştu

Yayinlari,2005

عقل الورد: مجموعة قصصية/ تأليف وهاب آقباش؛ ترجمها وقدمها للمكتبة العربية محمد حرب..- القاهرة: مكتبة الدار العربية للكتاب، 2013.

تدمك : - 9789772937059

1- القصص التركية.

2- القصص القصيرة.

أ- حرب، محمد (مترجم ومقدم)

ب - العنوان . 894.353

رقم الإيداع : 13286 /2013

16 عبد الخالق ثروت القاهرة .

تليفون: + 202 23910250

فاكس: 202 23909618 + ص.ب 2022

E-mail:info@almasriah.com

www.almasriah.com

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

الطبعة الأولى : شعبان 1434 هـ - يونيو 2013 م

جميع الحقوق محفوظة لمكتبة الدار العربية للكتاب، ولا يجوز،

بأي صورة من الصور، التوصليل، المباشر أو غير المباشر، الكلي أو الجزئي، لأي مما ورد في

هذا المصنف، أو نسخه، أو تصويره، أو ترجمته أو تحويله أو الاقتباس منه، أو تحويله رقمياً أو

تخزينه أو استرجاعه أو إتاحتة عبر شبكة الإنترنت، إلا بإذن كتابي مسبق من الدار.

عقل
الورد
مجموعة قصصية
تأليف
وهاب آقباش
ترجمها وقدمها للمكتبة العربية
الدكتور / محمد حرب

مكتبة دار العربية للكتاب

كان قلبها يسودّ يوماً بعد يوم، وأصبح عقلها مضطرباً مشوشاً، ومليناً بالأفكار المتداخلة!! لكنها في النهاية كانت تعلم أنها لن تنجح أبداً في التخلص من كل تلك القيود بمفردها، وأدركت أنها إن أرادت أن تصل إلى هدفها فلا بد أن تجد من يساعدها حتى يتحقق لها النجاة والحرية والاستقلال.

وذات ليلة من ليالي فصل الصيف هبت رياح لطيفة حملت ورقة خضراء من أوراق شجرة الورد، وطارت بها عاليًا.. عاليًا، وكأنها ريشة في مهب الريح، فقالت الوردة في نفسها: هل يمكن أن تساعدني الرياح؟!!

فقررت أن تحدثها في اليوم التالي، فانتظرت غروب الشمس بفارغ الصبر، فلما غربت الشمس، وعم الظلام، وأطبق بسكونه على المكان كله، بدأت الوردة ترتعش بشدة، وكأنها مصابة بالحمى؛ فقد اقتربت اللحظة التي ستحدث فيها الرياح، وبعد قليل عاد الناس إلى منازلهم، وعادت الطيور إلى أعشاشها، وراحت الورود والزهور في سبات عميق فقد كن متعبات من العمل في نشر عبيهن الجميل في كل مكان، ومن تجهيز الرحيق للفرشات، كان كل شيء في سكون باستثناء النهر الصغير الذي قيل إنه لا ينام أبداً، وكان الماء ينساب بين جنباته في فرح وسرور، وكان صوت خرير الماء هو الصوت الوحيد الذي يعلو في السماء، وكانت النجوم تتألأأ وكأنها تعبر عن فرحها بسماع هذا الصوت الرقيق.

ومن الغريب أن شجرة الورد كانت في هذه الليلة غاضبة من صوت النهر، بعد أن كانت لا تسعد أو تستريح إلا عند سماع صوته، وكانت لا تنام إلا عليه، وكأنه يغني لها أغنية جميلة قبل النوم، حتى القمر الذي بدا منيراً في السماء لم تنتبه إليه الوردة، بعد أن كانت تتأمل ضوءه الفضي كل ليلة!!

كان كل تفكير الوردة في ألمها، وكيف ستخبر به الرياح عندما ينام الجميع، وكيف ستعرض مشكلتها، وتطلب المساعدة في حلها، ومر الوقت ببطء، فنظرت الوردة يميناً ويساراً، فلما أدركت أن كل شيء حولها قد هدأ وسكن شعرت ببعض الراحة، ووقفت تنتظر قدوم الرياح، وفجأة هبت الرياح، وبينما كانت الوردة على وشك طلب المساعدة منها إذا بصوت عذب جميل يصدح في السماء، لقد كان صوت المؤذن ينطلق من مأذنة المسجد الرائعة قائلاً:

«الله أكبر.. الله أكبر..» يدعو الناس إلى الصلاة والفلاح والنجاة.

فنهضت الوردة من مكانها بسرعة، وكادت تشكو همها إلى هذا الصوت ليخلصها من تلك الأحبال والمسامير الصدئة والأخشاب القديمة تطبق على عروقها وكأنها الأغلال التي لا فرار منها!!

كانت الوردة تعلم أن هذا الصوت نداء مقدس، فقد كانت تسمعه كل يوم خمس مرات، وكانت تحزن كثيرًا لأنها لا تستطيع الذهاب إلى المسجد مثل أولئك الذين يذهبون.

إلا أن الوردة شعرت بالخوف في هذه المرة؛ فقد شعرت أن كل من حولها قد استيقظوا بعد سماع هذا الصوت، وتذكرت أن صاحب الحديقة قد استيقظ أيضًا لكي يصلي الفجر كما يفعل كل يوم، لكنها سرعان ما نسيت كل هذا، وأخذت تفكر كيف تُنفذ ما خطت له قبل عودة صاحب الحديقة من المسجد، وقالت في نفسها: ترى لو ساعدتني الرياح، وتمكنت من فك أغلالي ألن يربطني الرجل مرة أخرى؟!!

فزادت تلك الهواجس من اضطراب الوردة وقلقها، وبدأت تنتظر في قلق وخوف حتى كادت توظف شجرة اللبلاب المجاورة لها، وبدأت تشعر للحظات بأنها قد مرضت، ولا تستطيع أن تفعل شيئًا فلم تجد أمامها حيلة إلا انتظار قدوم صاحب المنزل في قلق.

وبينما هي كذلك أخذت تتمايل بهدوء مع النسيمات التي تداعب أوراقها، وقالت بعد تفكير: أفضل لي أن أنام قليلاً قبل مجيء صاحب المنزل، وبدأت تنتظر شروق الشمس، وهي تنظر إليها في ألم، وتذكرت أنها لم تحقق ما تمنته، ولم تتخلص من قيودها، وأنها ستظل ملتصقة بالحائط كالقرادة يوماً آخر!!

وبعد برهة التفتت إليها شجرة الورد العجوز الواقفة على يسارها وسألتها قائلة: ألم تنامي بعد يا صغيرتي؟!!

فلم تستطع الفسيلة أن تتمالك نفسها، وقالت لها بصعوبة:

لا.. لا يوجد شيء، نامي أنت واطمئني، وأخذت تدعو في نفسها أن تنام الشجرة الكبيرة نومًا عميقًا.

وواصلت الفسيلة سهرها حتى فقدت قدرتها على التحمل، وبينما كاد النوم يغلبها، إذا بها تستيقظ مرة أخرى على صوت قدوم صاحب المنزل، فلما رأته اطمأنت، وأغمضت عينيها برفق حتى يظن الرجل أنها نائمة.

وأدركت الشجرة الصغيرة من صوت خطواته أنه يقترب منها شيئًا فشيئًا، حتى وقف إلى جوارها، فسمعت صوت شهيق عميق؛ فقد كان الرجل يستنشق عبير الورد في سعادة، ففتحت عينيها بهدوء فرأت صاحب الحديقة ينظر إليها في فرح.

وبعد قليل قام الرجل بقطع بعض الأوراق الصفراء من الشجرة الكبيرة، وكان يفعل ذلك في هدوء شديد حتى لا تستيقظ الشجرة، ثم أخذ غصنًا صغيرًا كان يتدلى من شجرة اللبلاب، وربطه

بحبل في الغصن الكبير المجاور له، ثم نظر إلى الوردة الصغيرة، وقطع غصناً جافاً كان يضايقها منذ فترة، ثم ألقاه بعيداً، كانت الوردة الصغيرة سعيدة بتلك العناية والرعاية التي يقوم بها هذا الرجل للحفاظ عليها، وعلى كل أزهار الحديقة، وكانت دائماً تشعر بالامتنان له، وفي غمرة سعادتها تناست تلك الأفكار السيئة التي سيطرت عليها، ولو لفترة قصيرة.

فلما بدأ الرجل يتحدث معها بصوته الرقيق العذب، كادت الوردة تجيبه.

فقال الرجل موجهاً كلامه للوردة: أنا أحب كل الورود والزهور، فكلها جميلة ورقيقة، ولكنك اليوم أجمل من كل الزهور، لقد كبرت ونمت، وأصبحت زهرة رائعة، يا ترى هل تسمعيني يا جميلتي؟! ومن يعلم ربما ترين الآن أحلاماً سعيدة على أية حال كلما أتحدث معك أشعر براحة وطمأنينة غريبة؛ كأني أتحدث إلى نفسي، أو إلى صديق حميم!!

فأنت أجمل وردة في حديقتي، وأنا أحبك كثيراً لأنك تذكريني بابنتي الحبيبة التي فقدتها منذ سنوات، فقد كانت نضرة مثلك، وقد كانت في مثل سنك، وأعتقد أن العقل في تلك السن يكون مليئاً بأفكار مختلطة وغريبة، وقد كانت تفكر في تلك الأفكار، وأعتقد أنك تفكرين الآن مثلها!!

تأثرت الوردة الصغيرة كثيراً عند سماع هذا الكلام، وكادت تقول له من شدة الحزن: أنا لم أنم، وسمعت كل ما قلته، ولكنها تراجع في آخر لحظة، ولم تستطع أن تتفوه بكلمة، وأخذت تبكي كما تبكي الورود، وقالت في نفسها: لقد كان لهذا المسكين طفلة صغيرة، ولكنه لم يخبرنا بهذا من قبل. فاضطربت بشدة، وعلى الرغم من تعبها الشديد وسهرها طوال الليل إلا أنها ما زالت قادرة على التفارقة بين الصواب والخطأ، والحسن والقبيح.

وقد أضاف حوار الرجل إلى عقلها أسئلة جديدة لم تكن تفكر فيها من قبل، وزاد شغفها إلى معرفة المزيد.. والمزيد، فقد قالت في نفسها:

تُرى ماذا حدث لهذه الفتاة المسكينة؟! وهل سيحكي لي هذا الرجل، الذي قال منذ قليل إنه صديق لي، قصة ابنته؟!!

أما الرجل فقد اتكأ على السور الصغير، وظل ينظر إلى الوردة الصغيرة لفترة طويلة نظرة كلها حب وود، ثم انصرف في هدوء، ودخل منزله.. وبعد فترة قصيرة أضيئت النافذة المجاورة للوردة الصغيرة، كان الرجل هو من أضاء النور، فقد اعتاد أن يقرأ في كتبه لعدة ساعات، فانتظرت الوردة أن ينتهي الرجل من قراءته، ثم يخلد إلى النوم، وبينما كانت تنتظر إذا ببعض الجمل التي قرأها تجول بخاطرها، وبعد فترة أجهدتها التفكير ونسيت أن تطلب المساعدة من الرياح، وأسندت رأسها الصغير بهدوء على أخشاب المنزل، وغاصت في نوم عميق، فرأت في منامها الشمس

وهي تشرق، وتتفتح كأنها وردة جميلة، وأنها تسير في السماء بلا قيود، ورأت الوردة نفسها حرة
طليقة مثل الشمس تترك الأرض، وتسير بلا قيود، وتتخطى الجبال والأودية، وأنها قد لونت
الحدائق بألوانها الرائعة، وحملت الرياح عطرها الزكي فغمر المكان كله، وكانت تغني في فرح
وسعادة وسرور!!

الشغف بالحريّة

كانت الوردة الصغيرة مثل كل الكائنات الحية لها وظيفة وعمل تقوم به، فقد كانت جذورها المختفية تحت الأرض تمتص المياه لتوصلها إلى الأغصان والأوراق الظمأى، وكانت الأوراق والبراعم تستقبل ضوء الشمس لتصنع الغذاء.

لكن الوردة الصغيرة لم يكن لها رغبة في القيام بواجباتها مثل كل يوم، ولم تنتظر استيقاظ صاحب المنزل بفارغ الصبر كما تعودت، لترى من سيقول صباح الخير قبل الآخر، فقد كانت لا تريد الاستيقاظ من النوم بالمرّة.

وعند الفجر وقف الرجل بإبريقه النحاسي أمامها، وبدأ يتوضأ للصلاة، ولما بدأ يصب الماء على الأرض، شعرت الوردة كأنها تستيقظ، ثم نامت مرة أخرى؛ لقد كانت قديماً تنتظر قدمه، وتفرح عندما يختارها من بين الورود الموجودة في الحديقة كلها أما الآن فقد تبدل الحال تماماً!! ولو لم توقظها الوردة العجوز قائلة: هيا استيقظي أيتها الصغيرة، لقد أشرقت الشمس، لَمَا استيقظت الوردة الصغيرة من نومها.. فقد ترامى إلى مسامعها اسم الشمس فاستيقظت على الفور، وانتصبت من بين الأوراق، لتستقبل ضوء شروقها الخافت قبل أن ترسل أشعتها الحارة من خلف الهضبة فيتصببون عرقاً من لهيبتها.

وفي هذه اللحظة جال بخاطر الوردة كل الأفكار التي كانت تراودها في المساء، فنظرت إلى الشمس نظرات يملؤها التعجب والدهشة، لقد كانت الشمس لامعة مرتفعة في الأفق البعيد، فقالت في نفسها: تُرى هل هذا اللمعان البراق الذي يأخذ بالعيون وتلك العظمة وهذا العلو، موجود في شيء آخر غير الشمس؟! إن الورود الموجودة في الحديقة ينظرون إلى الشمس مثلي، فهل يا ترى يفكرون تفكيري نفسه؟! هل يا ترى أفصح لهم بسري؟! ربما لو حدثتهم لارتحت قليلاً، وربما هم مثلي لا يريدون هذه القيود البغيضة من الحبال والمسامير.. لكن يا للأسف إن جذورهم تنغرس في الأرض مثلي؟! كما أنه لا بد أن يكون من بينهم من لا يريد أن يكون مثل الشمس كما أريد أنا!!

ربما بعضهم يريد أن يكون مثل الشمس.. نعم.. نعم فلو أفصحت لهم بسري فربما ساعدوني، ولكن هناك مشكلة كبيرة!! فهم بعيدون.. بعيدون عني قليلاً، ولن أستطيع أن أحدثهم دون أن يستمع الآخرون إلى حديثنا؛ فبمجرد أن أبدأ في الحديث سوف يستمع إلينا كل من في الحديقة، كشجرة

اللباب، وشجرة الورد العجوز، وغيرهما، ولا شك أن شجرة الورد العجوز سوف تقف عائناً في طريقي إذا علمت بما أريد.

لم تكن الوردة الصغيرة معتادة على التفكير بمثل هذه الطريقة العميقة، لهذا فقد تعبت كثيراً، وأخذ منها التفكير مأخذه، فقد كانت تعيش قبل ذلك حياة هائلة سعيدة، ولم تكن تلك الهواجس والعواصف تهب على عقلها، وتخطر على قلبها.. لقد كانت تقضي وقتها في المرح والسعادة والعمل، وكانت حياتها هادئة جميلة، ترى لماذا سار تفكيرها إلى هذا الطريق الذي سلبها عقلها، وأطار النوم من عينها؟! وبدأت الوردة الصغيرة تشعر بالندم شيئاً فشيئاً، لكن على الرغم من هذا التغير إلا أنها كانت لا تزال تفكر في إيجاد إجابة عن تلك الأسئلة التي تحير عقلها، وكانت لا تزال لا تطيق صبراً على تلك القيود التي تحبس حريتها.

وبدأ لون الوردة الصغيرة يذبل، وصحتها تضعف؛ فقد كانت لا تنام الليل، وبالها دائماً مشغول، وكانت تصبح من نومها حزينة واهمة بدلاً من الأغاني والأناشيد، فلما رأت الشجرة العجوز هذا قالت لها متأثرة: ماذا بك يا صغيرتي، هل أنت مريضة؟!

فقالت لها: لا.. لا لست مريضة، لكن الشجرة العجوز لم تصدقها، وقالت لها: إذن.. أنت مشغولة في التفكير في شيء ما؛ فأنت هذا الصباح تبدين ذابلة للغاية، ويبدو عليك الشرود والتفكير العميق، أليس كلامي صحيحاً؟ لا سيما أننا لم نسمع صوتك الرقيق هذا الصباح، بل إننا أيقظناك من النوم بصعوبة، فلا بد أن تنتبهي إلى نفسك، وإلا ستموتين عند الخريف، أو يأتي عليك الربيع، ولن تستطيعي أن تنفتحي مثل كل الورود، وحينئذٍ سوف تجفين، وتصبحين أوراقاً بالية!!

فقالت الوردة الصغيرة: حسناً.. حسناً، ولكنها كانت في داخلها غاضبة بشدة من الشجرة العجوز، وقالت بصوت لا تسمعه:

لماذا تقحم هذه الشجرة نفسها في كل أموري؟!

وبعد قليل خرج صاحب البيت، وهو فرحان وسعيد، وكان في يده صينية، وكان يبدو أنه يُعد طعام الإفطار، فقد وضع الصينية على المنضدة الموجودة بالحديقة، وبعد قليل أحضر وعاء الشاي، وبينما كان يرشف بعض الرشقات من الشاي اللذيذ، بدأ يُغني أغنية الوردة الصفراء قائلاً:

سألت الوردة الصفراء

هل لك أم وأب؟

فقالت الوردة أيها الشيخ

إن أبي وأمي في التراب.

كان صاحب البيت يكرر تلك الأغنية كثيرًا لدرجة أن كل من في الحديقة قد حفظها، وقد كان الجميع يحب تلك الأغنية، فقد كانت الزهور تجد نفسها في تلك الأبيات التي نظمها «يونس أمره»، ولخص فيها حياة الزهور في كلمات بسيطة ومعبرة.

وكانت هناك شجرة ورد كبيرة بجوار الباب، وكانت أزهارها الصفراء قد تفتحت، وزينت الفروع بثوب أصفر جميل، وكانت كلما تستمع إلى هذه الأبيات تسعد وتفرح.

وذات مرة قالت الشجرة العجوز:

ألن ينشد صاحب الحديقة أغنية لنا ولو لمرة واحدة!! إنه في كل مرة يغني للوردة الصفراء فقط.
فقال الورد الصفراء:

وهل تحقدين عليّ أيتها الشجرة!؟!

فردت بقية الزهور في فم واحد:

اسكتوا جميعًا.. فهل سنستمع إليكم أم نستمتع بضوء الشمس! فتنهدت الشجرة العجوز، وبدأت تحكي للشجرة الصغيرة أيام شبابها، فقالت لها: لقد كان صاحب هذا المنزل في الماضي يغني لنا أغاني جميلة، ولكنه لم يكن يقيم في هذا المنزل، بل كان يقيم في مدينة بعيدة عن هذا المكان، ولأنه كان يحب هذا المكان جدًا فقد كان يأتي إليه في فصل الصيف من كل عام، ويقيم ثلاثة أشهر كاملة، وكان هذا الرجل يحب الورود الحمراء؛ لذلك كان يغني لأزهاره الحمراء التي كنت أنتجها في شبابي، أغاني جميلة، وكان لهذا الرجل فتاة جميلة جدًا تعلمت من أبيها تلك الأغاني، وكانت تغنيها بصوت رقيق عذب فتنفتح الورود قبل أوانها من شدة الفرح والسرور!!

وذات يوم جاء بلبل جميل، وحط على أغصاني، وكان هذا البلبل يغرد لي ليلاً ونهارًا حبًا في جمالي وجمال أزهاره!!

وقد كنت أتدلل عند سماع غناؤه، تمامًا مثلما تفعل جميع الورود الجميلة، وذات يوم لم يتحمل البلبل تصرفاتي معه فطار بعيدًا ولم يعد!

تعبت الشجرة العجوز من حكي ذكريات شبابها، فقد كانت شجرة اللبلاب تمتد إلى أعلى، وكانت الشجرة العجوز تضطر أن ترفع رأسها وهي تتحدث لذلك تملك التعب رأسها، أما الورد الصغيرة فلم تكن تثق كثيرًا في كل ما ترويه الشجرة العجوز، ولكنها على الرغم من ذلك فقد كانت تستمتع كثيرًا، وهي تنصت إلى حكاياتها.

ومر الوقت، وأتم الرجل إفطاره، وكان لا يزال يغني للوردة الصفراء التي أصابها الخجل من سماع الرجل وهو يغني لها، ولم تشعر بنفسها فبدأت تتمايل يمينًا ويسارًا من نسيمات الريح، ولم

تكن الوردة الصفراء في حالة تشبه هذه الحالة من قبل؛ فكلما قال الرجل: الوردة تقول: أبي وأمي في التراب، كانت تشعر بحزن شديد يعنصر قلبها، بل إن قطرات الندى التي كانت على أوراقها تشبه الدموع المنهمرة من عيونها.

وهنا قالت شجرة الورد العجوز: كم هو صحيح ما يقول هذا الرجل؛ لقد جعل الله التراب أبًا، وأما لنا؛ فنحن نتغذى ونكبر في حضنه، وبدونه لا نستطيع أن نعيش!! ثم بعد ذلك يعتقد الناس أننا وحيدون!!

لا.. لا الأمر ليس كذلك فنحن كائنات حية تحس وتحب، ونحن أسرة واحدة لنا آباء وأمهات وأبناء، والبشر يحبوننا كثيرًا؛ ويجعلوننا رمزًا لكل ما هو جميل وحسن، وهناك الآلاف من البشر الذين يسمون أطفالهم وأحباءهم بأسمائنا مثل: وردة، ونور الوردة، وعائشة الورد، والوردة البرعمية، وحديقة الورد، ووردة القمر، والوردة الحمراء، وغيرها.. انظروا كم هو شرف لنا أن يحبنا الناس كل هذا الحب!! ترى هل توجد شجرة في الوجود حصلت على هذا الشرف مثلنا!! شعرت شجرة اللبلاب بالانتعاش والدفء من كلام شجرة الورد العجوز، وأحست بالفخر لأنها قد خلقت وردة، هذا المخلوق الجميل الذي اجتمعت فيه سحائب الحب والحنان، والتي تريد أن تتفجر فتغرق العالم أجمعه برائحتها الطيبة الذكية.

كان الرجل يندن بالأغنية نفسها، ثم هم بإمساك أوراق الوردة، ومداعتها فانحنت الوردة بنظرها إلى الشمس، فرأت الشمس كما هي تسير بلا قيد!! فتذكرت ألمًا، وتخلصت من تأثير كلام الشجرة العجوز، وبدأ يراودها من جديد، وبقوة حلم النجاة من قيودها، فبدأت ترتعش في غضب، ارتعشت بقوة إلى حد أن أوراق بعض الورود التي تقتحت مؤخرًا قد بدأت تتساقط، فقالت الوردة في نفسها: لم يعد هناك فائدة من الانتظار.. لا بد أن أحدث الرياح في هذه الليلة.

وإذا ما قبلت مساعدتي فسوف أنجو بالتأكيد من هذه الأغلال التي تخنقني، وعندما يذهب صاحب المنزل سأخبر زهور دوار الشمس بما في نفسي، فمن يدري فربما كان لديهم فكرة تساعدني، ومن يعلم فربما نعقد اتفاقًا معًا للنجاة.

لكن كان واضحًا أن الرجل لن يخرج في هذا اليوم؛ فقد أخذ يتجول في الحديقة بهدوء، ويجمع الحطب الجاف، ويكومه في مكانه المخصص، كما نظف أسفل الشجر، وقطع غصنين جافين، وأصلح مكانين كانا قد انكسرا في سور الحديقة، وبعد أن أنجز كل هذه الأعمال نزل إلى النهر، واغتسل جيدًا، ثم عاد إلى الحديقة بعد أن ذهبت عنه رائحة العرق، ثم أخذ يقرأ في كتاب لفترة، ثم أخذ يتأمل ألوان الوردة تارة، ويستمتع إلى خريف ماء النهر تارة أخرى.

وهنا همست الشجرة العجوز، وكأنها ستقول سرًا فقالت: هل تعلمين أن اليوم هو يوم الأحد، وفي هذا اليوم يستريح صاحبنا طيب القلب من عمله كل أسبوع!!
فرحت جميع الزهور عندما استمعت إلى هذا الخبر الجميل، فقد كان هذا يعني أن صاحب الحديقة سوف يعتني بهم بصورة أفضل عن بقية أيام الأسبوع.
أما الورد الصغيرة فقد كانت على عكس بقية الزهور؛ فقد حزنت بشدة، وشعرت بخوف رهيب، فقد يجلس صاحب الحديقة بحديقته طوال الليل، وقد يأتي إليه أصدقاؤه ليجلسوا معه، وحينئذٍ فلن تنفذ ما خططت له، وعليها أن تنتظر يومًا آخر، وهو أمر لا تطيق تحمله أبدًا!!
وفجأة تذكرت الورد الصغيرة ما قاله صاحب الحديقة بالأمس، فقد قال إنه كان له ابنة جميلة تُسمى «وردة»، وأنه حزن عليها كثيرًا عندما فقدها، وأنه كانت هناك حكاية مؤلمة جدًا مرت بها طفلة وردة، وتذكرت الورد الصغيرة أيضًا أن شجرة الورد العجوز عاصرت أحداثًا كثيرة في هذا المكان، وحتى إن مرت بعض الأحداث قبل أن تكون بالحديقة فبال تأكيد قد سمعت بها يومًا ما!! وسوف تخبرها بها إن كانت تعرفها، وبذلك تتمكن الورد الصغيرة من تضييع وقتها، وتُشبع فضولها بمعرفة حكاية الفتاة «وردة» من ناحية أخرى.
وبينما كانت شجرة الورد الكبيرة على وشك أن تنام في وقت الظهيرة، سألتها الورد الصغيرة قائلة:

هل ستخلدين إلى النوم في هذا الوقت؟!.. أرجو أن تنتظري قليلًا.

فأنا أريد أن أسألك سؤالًا مهمًا.

فردت عليها شجرة الورد الكبيرة، وكانت تبدو عليها علامات الضيق قائلة: إنكِ تريدين سؤالي في وقت غير مناسب بالمرّة، فيا تُرى ما هذا الأمر المهم الذي تريدين أن تسألي عنه؟
مالت شجرة الورد قليلًا، ثم ابتسمت، وقالت: حسنًا سوف أسألك في وقت آخر! وقد كانت الشجرة الصغيرة تعلم أن الشجرة العجوز لا تطيق صبرًا على الانتظار، وأصبحت في غاية الشغف لمعرفة هذا السؤال الذي تريد الورد الصغيرة أن تسأل عنه، فقالت لها في إلحاح: هيا.. هيا أخبريني بسؤالك.

فقالت الورد الصغيرة في مكر: لا.. لا ليس الآن، سوف أسألك بعد أن تستيقظي من نومك، فقالت لها في إلحاح أشد: لقد ذهب عني النوم فهيا أيتها الصغيرة اسألي.

فقالت: ليس الآن كما أخبرتك.

فقالت الشجرة العجوز: هيا اسألي ولا تتدالي أكثر من ذلك.

فقال الشجرة الصغيرة بعد أن أخذت نفساً عميقاً: كنت أريد أن أسألك عن الفتاة «وردة» ابنة صاحب المنزل، ألا تعلمين عنها شيئاً؟!

وحينئذٍ تدلت الشجرة الكبيرة بعد أن زال عنها شغفها، وقالت: عم كنت تسألين؟
فقال الوردة الصغيرة: بينما كنت نائمة بالأمس تحدث صاحب المنزل عن فتاة تُدعى «وردة»، وقد حزنت كثيراً عندما علمت أنه قد فقدها، وأنا شغوفة جداً لمعرفة حكايتها.
ابنتمت شجرة الورد الكبيرة، وقالت:

أليس شيئاً جميلاً أن يُسمى الإنسان من يحبهم بأسمائنا؟!
فقال الوردة الصغيرة: بلى.. إنهم يحبوننا كثيراً، ثم أردفت قائلة: هيا أخبريني بقصة الفتاة، ولا تُغيري الموضوع، هيا تحدثني.

وعلى الرغم من أن النوم قد فر من عيني الشجرة الكبيرة إلا أنها قالت في تدلل غريب: أرغب في النوم الآن، وسوف أحكي لك في المساء.

فردت الوردة الصغيرة في غيظ: لا بل احكِ الآن، فقد أكون غير موجودة في هذا المكان مساءً!
دهشت الشجرة الكبيرة كثيراً بعد أن سمعت هذا الكلام الغريب، وقالت للوردة الصغيرة: ماذا تعنين بقولك إنك لن تكوني هنا في المساء؟! فأين يمكن أن تذهب وردة صغيرة مثلك؟! لقد عشت سنوات وسنوات، ولم أسمع أبداً مثل هذا الكلام من قبل!! ترى هل سيقطفك صاحب المنزل، ويُلقي بك في الطريق أم ماذا؟ هيا أخبريني.. وحتى هذا فلن يحدث لأن صاحب المنزل يحبك كثيراً، ويعتني بك أكثر من أي أحد منا!!

وهنا أدركت الوردة الصغيرة سوء تصرفها، فغضبت من نفسها كثيراً، وبدأت تحاول أن تصلح ما أفسدته قائلة:

لا، ليس كذلك، وإنما هذا حال الحياة، قد يقطفني أحد الناس، ثم يُلقي بي بعد ذلك في القمامة.
لم تقتنع الشجرة العجوز التي حنكتها الأيام والسنون بكلام الوردة الصغيرة، وأدركت أن في الأمر شيئاً ما تُخفيه عنها الوردة الصغيرة، لكن يا ترى ما هو هذا الشيء؟ بالتأكيد ستعرف يوماً ما، فقالت لها غير مبالية بشغفها: لا تخافي يا صغيرتي، فلن يحدث شيء حتى المساء، وكل ما عليك أن تطمئني وتهديني حتى المساء، وسأحكي لك القصة كاملة، كما أن صاحب المنزل بدأ يجمع الأحطاب الجافة ليستعد للشتاء، وبدأ صوت ضجيج بلطته يزعجني، ولم أعد أستطيع استجماع قوتي لأروي أي شيء.

حكاية وردة البعيدة

بعد أن ارتفعت الشمس في كبد السماء، بدأت تميل شيئاً فشيئاً نحو الغروب، وكانت ظلال الأشجار تميل بالطبع نحو الشرق مباشرة؛ ولأن الشمس كانت تغرب من خلف المنزل فإن شجرة الورد الصغيرة، وبقية أشجار الورد قد أصبحت في الظل تماماً، وقد كان هذا يسعد الورد كثيراً بعد التعرض لحرارة الشمس طوال اليوم، والاكتواء بنارها المحرقة.

وكعادته قام صاحب المنزل بتجميع الحطب، والأعواد الجافة في مكانها المخصص خلف المنزل، ثم أراد أن يستريح قليلاً فوضع أريكته تحت التغطية الخشبية المغطاة بأوراق الشجر، وراح في نوم عميق.

كانت البسمة ترتسم على شفاه الورد الصغيرة كلما اقتربت الشمس من الغروب؛ فقد كان هذا يعني أن المساء قد اقترب، وأنها بحلول المساء ستعرف قصة الفتاة الصغيرة «وردة» من جهة، وتنتظر الرياح من جهة أخرى لتطلب منها أن تخلصها من قيودها لتبدأ حياة أخرى جديدة تنعم فيها بالحرية والانطلاق.

وحل المساء، وخرج كثير من الكائنات الموجودة حول المنزل لتذوق طعم المساء الجميل، حتى السلحفاة الخجولة مدت رأسها من داخل غطائها، وأخذت تنظر في تعجب ودهشة إلى جمال الكون من حولها، واستمر النهر الصغير يغني أغنيته الجميلة، ومالت زهور دوار الشمس نحو الغرب، وأطلت برأسها بشكل خفيف نحو الأرض، فبدت كأنها تغوص في تفكير عميق، أما صاحب المنزل فقد كان يغط في نوم عميق جداً، وفي تلك الأثناء ظهر رجل غريب على الباب الخشبي، وأخذ يطرق عليه بشدة قائلاً:

ألا يوجد أحد بالمنزل.. أنا ساعي البريد.

استيقظ صاحب المنزل على الفور، وقال: أنا بالمنزل.. أنا قادم إليك، وهول الرجل مسرعاً نحو الباب وهو يتمتم ببعض الأدعية راجياً من الله أن يأتيه الرجل بما يسعده.

قال ساعي البريد بهدوء: هناك خطاب لك.

فمد الرجل يده وهي ترتعش لكي يتسلمه؛ فهذه هي أول مرة تقريباً يأتي ساعي البريد إلى بيته، ففكر للحظة أن يفتح الخطاب أمام ساعي البريد، لكنه أدرك بسرعة أن هذا التصرف غير لائق بالمرّة، فشكر الرجل، ولم يجلب بخاطره أن يقول كلمة واحد بعد هذا الشكر.

نظر ساعي البريد إلى الرجل، ثم ابتسم ابتسامة بسيطة، وكأنه يقدر مشاعر الرجل ويعذره لما هو فيه، فهو كساعي بريد قد اعتاد أن يسلم الخطابات إلى الناس، وبالطبع منها ما يفرحهم، ومنها ما يحزنهم، ومنها ما يحمل بشرى سارة، ومنها ما يحمل خبراً مفاجئاً بحادثة أو حالة وفاة، ومنها أيضاً ما يذهب حسرة شوق كانت تجثم على قلوبهم مثل الجبال، ومنها ما يزيد تلك الحسرة لتصبح كسلاسل الجبال التي لا نهاية لها.

كان الساعي قد اعتاد على مثل كل هذا؛ لذلك كان ينظر إلى صاحب المنزل، ويتفهم تصرفه تماماً، فhez رأسه يميناً ويساراً، ثم عاد من حيث جاء.

فتح صاحب المنزل الخطاب، وجال ببصره بين سطوره فارتسمت على وجهه علامات الفرح والسعادة، وقد كان هذا يعني أن الخطاب يحتوي على أخبار سارة، فهرول إلى الداخل، وأضاء المصباح بسرعة، وبدأ يقرأ الخطاب حرفاً حرفاً، ثم أخذ يقبله عدة مرات، والدموع تنساب من عينيه بغزارة حتى بللت الخطاب، ظل الرجل فرحاناً وسعيداً طوال الليل، وأخذ يُغني لكل شيء من حوله.. للنهر وللسماء وللنجوم وللأشجار!!

فنادت الوردة الصغيرة الشجرة الكبيرة قائلة: يبدو أن صاحب حديقتنا فرحان وسعيد جداً، تُرى ما الذي جعله سعيداً هكذا؟! هل لديك تفسير لهذا؟!

فكرت الشجرة الكبيرة قليلاً، ثم قالت:

من يعلم! فربما جاء إليه خبر يطمئنه على ابنته!! وهنا تذكرت الوردة الصغيرة ابنة الرجل، فقالت: أه!! لقد نسيت، هيا احكِ لي الآن حكاية الصغيرة «وردة»، فلما صمتت الشجرة الكبيرة، قالت لها غاضبة:

ألم تعديني أيتها الشجرة؟! فهيا أوفي بوعدك.

فقالت الشجرة الكبيرة في غضب: لقد عشت سنوات وسنوات، ولم أر وردة غير صبورة مثلك!! ألم تسمعي الحكمة التي تقول: «إن من يصبر يبلغ مراده»، أما أنت فلا يوجد لديك مثقال ذرة من صبر، اسمعي أيتها العجولة ما سوف أقوله لك، وضعيه حلقة في أذنيك: إن لم تتحلي بالصبر فستعرضي نفسك لمخاطرة كبيرة؛ وكما يقولون فإن العجلة من الشيطان، وقد وعدتك أن أحكي لك قصة الفتاة، وبالتأكيد سوف أحكيها لك، فهل كذبت شجرة الورد العجوز من قبل؟! أم هل تظن الوردة الصغيرة أنني سأخلف وعدي؟!!

خجلت الوردة الصغيرة من تسرعها، وعدم تحليها بالصبر، فاعتذرت للشجرة العجوز قائلة: أنا آسفة جداً. قالتها وكأنها طفل صغير قد ارتكب خطأ، أو وقع في ذنب!!

وقد كانت الشجرة العجوز طيبة القلب، رقيقة المشاعر؛ لذلك فقد تأثرت كثيرًا بمشاعر الوردية الصغيرة، ولولا خجلها لبكت من تصرف الوردية، لكنها تماكنت نفسها، وقالت:
صغيرتي لن أتكلم حتى تصمتي تمامًا، وتستمعي إليّ في هدوء، ولا تسألي عن شيء، وأنا أتحدث إليك.

فقال الوردية الصغيرة في أدب: حسنًا.. حسنًا سوف أفعل، ثم هيات نفسها للاستماع، فلما رأتها الشجرة العجوز قالت: حسنًا.. الآن أروي لك، ولكن لن أقول كل ما أعرفه!! فأنا أعرف الكثير.. والكثير!!

ثم قالت: كان هناك مالك قديم لهذا المنزل، وكنت قد حدثتك عنه من قبل، وكان هذا الرجل يحبني كثيرًا، ويخبرني بكل ما يحدث من حولي، على عكس صاحب المنزل الحالي؛ فهو رجل منطو على نفسه بعض الشيء، ولا يحدثنا عن كل شيء، وكل ما أراه أنه يأتي إليك في بعض الأحيان ويغني لك فقط، وقد حكى لي صاحب المنزل السابق أن هذا الرجل كانت له ابنة جميلة، وأنه كان سيترك هذا المنزل له؛ لأنه كان لا يروق له، وكان صاحب المنزل السابق يقول لي: لقد بعث منزلي إلى رجل طيب لكنه ذو شجن!! أي ذو هم وحزن!! لم تستطع الوردية الصغيرة أن تتحمل الصمت أكثر من ذلك فقالت: وما الذي جعله ذا شجن؟!

اكتفت الوردية الكبيرة بقولها: إنها حكاية طويلة يا صغيرتي!! فلم تصبر الوردية الصغيرة ثانية، وقالت في شغف: هل تعلمينها أم لا؟ قالت الوردية الصغيرة سؤالها وهي في قمة الشغف والإثارة، لكنها لم تستطع أن تقول شيئًا بعد هذه العبارة؛ لأنها تذكرت نصيحة الشجرة الكبيرة لها فسكتت عن الكلام، ثم أحنّت رأسها، وكأنها طفل صغير يملؤه الخجل، وقد أعجب هذا التصرف الشجرة الكبيرة؛ لذلك لم تغضب منها، وأكملت حديثها وهي باسمه قائلة:

إن صاحب المنزل السابق لم يخبرني بالسبب، لكنني علمته بعد ذلك.

فقال الوردية الصغيرة: كيف؟

فقال الوردية العجوز: إن صبرتِ أخبرتك، فلقد صبرت قبلك وتعلمت، وأنت أيضًا لا بد أن تصبري إذا كنت تريدين المعرفة.

وفي تلك الأثناء خرج صاحب المنزل، فسكتت الشجرة الكبيرة عن الحديث، بينما انشغل الرجل بجمع بعض الطماطم والفلفل الطازج، ثم أدخل دجاجتين كانتا خارج السور، وأدخلهما الحظيرة، ثم أطعم الكلب، وكان الكلب لا يرى كثيرًا فقد كان دائمًا مربوطًا خلف المنزل، لكن الأشجار كانت تسمع نباحه بين الحين والآخر.

كانت الوردة الصغيرة تنتظر بفارغ الصبر حتى ينتهي الرجل من عمله، فقالت شجرة الورد الكبيرة لا تقلقي يا صغيرتي سوف يذهب الآن إلى المسجد، وحينئذٍ سوف نكمل حديثنا، فابتسمت الوردة الصغيرة وتنفست الصعداء، وبعد قليل أغلق الرجل باب الحديقة، ثم سار في طريقه بعيداً حتى غاب عن أعينهم.

كانت الوردة الصغيرة لا تزال لا تطيق صبراً على الانتظار، فمالت بسرعة نحو شجرة الورد الكبيرة، وقالت لها: حسناً.. في أي موضع وقفنا؟!!

فقالت الوردة الكبيرة: أه.. لقد تذكرت.. لقد كان ذلك اليوم هو أحد أيام شهر يونيو، وكان هناك بلبل صداح قد أتى إلى الحديقة، وأخذ يغرد حتى أخذني بتغريده إلى عالم الخيال الجميل، فلما حل المساء كنت أضيق ذرعاً بصوت الحشرات البغيض، وفي هذه الأثناء خرج صاحب المنزل القديم وابنته وأخذا يغنيان أناشيد جميلة، ثم غنت ابنته ذات الصوت العذب بمفردها ثم بعد ذلك تحدثنا طويلاً.

وهنا توقفت شجرة الورد الكبيرة عن الكلام بعد أن بدت عليها آثار التعب والإرهاق، لكنها على الرغم من تعبها أكملت حديثها حتى لا تترك الوردة الصغيرة فريسة للانتظار والقلق فقالت: وقد علمت من هذا الحديث حكاية صاحب منزلنا الحالي، وقد كنت أستمع إلى حكايته في شغف كبير، وقد قال عنه صاحب المنزل القديم إنه كان رجلاً يملك ثروة طائلة، وكان يملك أيضاً مزارع شاسعة في أماكن بعيدة، وقد تزوج بفتاة جميلة للغاية، وعاش معها حياة رائعة كالتي نسمع عنها في القصص والحكايات، ومرت الأيام، وحملت زوجته ففرحاً فرحاً كبيراً، وظنا أن هذا المولود سوف يملأ حياتهما سعادة وفرحاً وسروراً، فأخذا يعدان الأيام والشهور، حتى جاءت البشرية في أحد أيام شهر مايو، وبينما كان الرجل يتجول في حديقته صباحاً إذا بهم يرفون إليه الخبر بقدم فتاة جميلة، فنظر الرجل إلى وردة كانت في يده، وقال دون تفكير: إذن سأسميها «وردة»، وانطلق الرجل إلى زوجته فوجد فتاته إلى جوارها لها وجه مشرق كالشمس فاحتضنها، ثم أذن في أذنها اليمنى، وأقام في أذنها اليسرى، كان الرجل لا يستطيع أن يقف على قدميه من شدة الفرحة، وكان قلبه يرفرف وكأنه طائر حر طليق في السماء، ثم دعا الله قائلاً: اللهم اجعل حظ ابنتي متفتحاً كالوردة، واجعلها سعيدة طوال حياتها.. آمين.

ولم تستمر سعادة الرجل كثيراً؛ فقد توفيت زوجته، وتغيرت أحواله بشكل غريب، فبدا مهموماً حزيباً بعد أن فقد هذه الزوجة الصالحة التي كانت أحد أسباب سعادته وفرحته، ولم يعد لهذا الرجل في هذه الدنيا سوى ابنته الصغيرة «وردة»، التي كان يرى فيها ابنته وزوجته في الوقت نفسه؛ فقد

كان يخاف عليها من النسمة، وبدأ يهتم بها اهتمامًا زائدًا، ويهمل أعماله شيئًا فشيئًا، وبدأ مساعدوه يسرقونه، وفي الوقت الذي كانت تكبر فيه ابنته الصغيرة كانت ثروته تقل، وأراضيه تنقلص، فقد كان يفقد قطعة من أرضه كل عام، حتى جاء العام الذي فقد فيه مزرعته، وهاجر إلى مكان آخر هو وابنته، وأسس منزلًا صغيرًا، وكان يقوم بدور الأب والأم لابنته معًا، ومرت الأيام، وأصبحت «وردة» شابة جميلة للغاية، وكان من شدة حبه لها ينفذ لها جميع طلباتها قبل أن تفكر فيها!!

بدأت شجرة الورد الكبيرة تشعر بالتعب من كثرة الكلام، وكادت تقول لشجرة الورد الصغيرة يكفي ما حكيناه اليوم، لكنها استمرت في حديثها؛ لأنها كانت تعلم أن الوردة الصغيرة لن تطيق صبرًا على الانتظار، فقالت: ومرت الأيام على هذه الحال، وبدأت الفتاة تشعر بالضيق من تدخل والدها الذي يحبها بشدة في جميع شئونها بشكل مبالغ فيه، فقد كانت تتمنى أن تكون مثل من حولها حرة طليقة، وكان يروقها كثيرًا حياة المدن الكبيرة بزحامها وضجيجها، لقد كانت تبحث في شوق عن شكل حياة أخرى جديدة ومختلفة، فقد كانت تشعر وكأنها في سجن كبير على الرغم من كل هذا الحب والاهتمام والرعاية التي يوليها أبوها لها، وقد كانت تحدث نفسها دائمًا قائلة:

أه لو أمتلك جناحين أطيّر بها في كل مكان!! أه لو ألق في عنان السماء!! وقد ظل هذا الشعور يراودها كل وقت وحين، حتى انتهزت فرصة انشغال والدها بعمله وتركت المنزل!!

رحلت وردة.. رحلت بلا عودة ولم تعد حتى الآن!! هكذا قالت الوردة الصغيرة بحسرة وألم، فتأثرت الوردة الكبيرة، وقالت: نعم أيتها الوردة الصغيرة لقد رحلت، ولم تعد!! فقالت الوردة الصغيرة: وماذا حدث بعد ذلك؟

فأجابت الشجرة العجوز: لقد رحلت بشكل مفاجئ أدهش والدها، فكان يسأل عنها في كل مكان لكنه لم يعثر عليها، وانتظر أيامًا وشهورًا، بل وسنين على أمل أن تعود الفتاة لكنها لم تعد، ولم يصله أي خبر عنها، وقد كان حزن الرجل على فراق ابنته أكبر من حزنه على فراق زوجته، وظن أنها قد ماتت، أو حدث لها مكروه، فظل يبكي عليها طويلاً، وأصبح ينتظر الموت بين لحظة وأخرى، وأصبح ينفر من الناس، ولا يحب الجلوس معهم، وعشق العزلة؛ لهذا نراه دائمًا قابعًا في المنزل لا يخرج منه أبدًا بالشهور، لكنه في الفترة الأخيرة فقط بدأ يخرج قليلًا.

سكنت شجرة الورد الكبيرة لفترة، فلما رأت شجرة الورد الصغيرة صامتة تمامًا أكملت حديثها قائلة:

سمعت من بعض الذين أتوا إلى الرجل في الفترة السابقة لبيع البيض له أنهم قد رأوا «وردة» في إحدى المدن الكبرى، ولكن لا أتذكر اسم المدينة، وقالوا إنهم وجدوها في حالة يرثى لها، وأنها

نادمة جدًا على ما فعلت، وأنها تريد العودة إلى أبيها لكنها تخجل أن تعود، سبحان الله لقد هربت من أبيها على الرغم من أنه كان ينفذ لها جميع طلباتها، ويحرم نفسه من أجلها، فقد كان خير معين لها، وقد قام على رعايتها صغيرة وكبيرة، أما هي فقد أطاعت أهواءها، وأضرت نفسها، وأضرت من حولها، إن الإنسان لا يعرف قيمة نعم الله عليه إلا إذا فقدها!!

وعلى أية حال فأنا أظن أن هذا الخطاب الذي وصل إليه من «وردة» ابنته، وأرجو من الله أن يصلح أحوالهما.. وحينئذ أدركت الشجرة الكبيرة أن الوردة الصغيرة يدور بخلدتها فعل بعض الأشياء التي قد تضرها، مثلما فعلت «وردة»، فمالت بذكاء وخفة نحوها وسألته بشكل يوحي بذلك قائلة: أليس كذلك يا صغيرتي؟!

وبينما كانت الوردة الصغيرة تستمع إلى صوت الشجرة الكبيرة الناعم، إذا بها لا تستطيع أن تتمالك نفسها، فأغمضت عينيها وراحت في نوم عميق..

وكانها لم تسمع ما قالته الشجرة الكبيرة؛ لأنها لو سمعته ربما تخلت عن أفكارها الغريبة للتخلص من قيودها بمساعدة الرياح، ولربما أخذت عبرة وعظة مما حدث لوردة ابنة الرجل، وما قد يحدث لها مثلها، ولربما رجعت إلى نفسها، وعلمت أنها تعيش حياة سعيدة، كلها راحة وطمأنينة، وليس كما تظن أنها حياة مكبلة بالأغلال والقيود، ولكن يا للأسف لم تسمع الوردة الصغيرة ما قالته الشجرة الكبيرة، وفي نومها حلمت أنها تركت نفسها للرياح فطارت نحو الشمس!!

صباح جميل

استيقظت جميع الورود على أصوات الديوك القادمة من بعيد، فقد كانت الديوك تصيح الواحد تلو الآخر، وكأنها اتفقت على تناوب الصياح، كانت شجرة الورد الكبيرة متعبة إلى حد ما، وقالت: أريد أن أنام قليلاً، ولكن كيف؟!!

فقال لها الورد الصغيرة: إن استطعت أن تنامي وسط هذا الصياح الشديد الذي يحدثه الديوك فنامي، أما أنا فقد نمت جيداً، واستيقظت على منظر رائع للورود الجميلة والبراعم التي على وشك أن تتفتح، فقالت لها الشجرة الكبيرة باسمه: إنك تذكريني بشبابي، فقد كنت أستيقظ أيضاً على هذا المنظر الجميل، وقد كان الندى يتساقط على أوراقها، وكنت ألفت انتباه البلابل بمنظري الجميل الرائع!!

فرحت الورد الصغيرة بتلك الكلمات الرقيقة التي قالتها الورد الكبيرة، وقالت في فرح: ما أجمل ما تقولين!! ما أجمله!! ولكنها رغم هذا المدح كانت مترددة إلى حد ما، لا تثبت على قرار واحد، وكانت شخصيتها متقلبة تتغير وتتبدل كثيراً!!

وبدأت الورد الصغيرة تستمتع بأشعة الشمس، لكنها فجأة أسقطت بعض أوراقها، وقالت بصوت كأنه البكاء:

يا للأسف إن جمالي لا يفيد بشيء! فليس هناك شخص واحد يهتم بي، أو يقطفني ليضعني في يده أو في زهرية أو حتى تحت قدمه!! أريد شخصاً يقطفني، لكي يستخلص رائحتي، ويجعلها عطراً له!! لذلك فأنا أفكر كثيراً في التخلص من تلك القيود التي جعلتني أسيرة هنا في هذا المكان، أنا راضية بأن يقطفني أي شخص ويأخذني حتى لو سحقني وجعلني مربى!!
كم تمنيت أن أرى ورودي باقة جميلة، انظري كم شخص يشاهد باقة الورد، ويستمتع بجمالها!!
أليس هذا جميلاً حقاً؟!!

فردت عليها الشجرة الكبيرة، قائلة: هل أنت مجنونة؟!!

باقة!! ومربى!! ما هذا الذي تقولين؟! كم من وردة في هذه الحديقة فكرت مثل تفكيرك المجنون هذا، وقُطفن بالفعل وأصبحن باقات ورود، لكن هل تعلمين ماذا حدث لهن بعد ذلك؟! لقد أصابهن الجفاف شيئاً فشيئاً حتى مِتْن، ولم ينتبه إليهن أحد!!

إن هذا هو مصير أي وردة تخرج من هنا.. تجف ثم تصبح لا شيء! أما صاحب منزلنا فإنه يغضب كثيراً من أي أحد يقطف ورده، حتى ابنته كان يغضب منها إذا قطفت وردة، لكنه كان

يغضب منها في لطف ورقة، ثم رددت الوردة العجوز هذه الكلمات الحكيمة: الفسيلة يانعة مادامت واقفة في مكانها، أما حينما توضع في باقة فذلك يوم جنازتها.

ثم قالت: يا له من شيء جميل، أليس كذلك؟! إن صاحبنا لا يقطف وردة أبداً!! ويحبنا ويحب أغصاننا جداً!!

وهنا بدأت أفكار الوردة الصغيرة تضطرب بشدة، وقالت للشجرة العجوز: لماذا تقولين لي هذا الكلام؟!!

فقالت الشجرة العجوز: حقيقة، لقد كنت أغير من اهتمام صاحب المنزل بك أكثر منا، وأردت أن أوضح لك ما أنت فيه من النعيم، وبينما كنا يتجادبان أطراف الحديث لم ينتبهها إلى صاحب المنزل، وهو خارج إلى الحديقة ومعه إبريق الوضوء، وراح يتوضأ إلى جوار الوردة الصفراء، وفي تلك اللحظة غارت الوردة الصغيرة من الوردة الصفراء، ولم ينتبه صاحب الحديقة في هذا الصباح إلى حديقته الجميلة، وما تنتشره ورودها من عطر فواح يسعد النفوس؛ حيث قام بعد أن فرغ من وضوئه وسقى الوردة الصفراء، ثم وقف أمام الوردة الصغيرة، فأرضى غرورها، وداعبها بكلمات رقيقة، فظلت سعيدة حتى المساء، وتذكرت تلك النصائح المهمة التي تلقته من الوردة العجوز عن الصبر، ومنها أنها تعلمت أن تتحلى بالصبر حتى تبلغ مرادها، فقد تذكرت قولها: إذا أردت أن تبلغ مرادك فعليك أن تتحلى بالصبر.

ابتسمت الوردة الصغيرة ابتسامة رقيقة عندما تذكرت كل ذلك، وقد زادت تلك الابتسامة جمالاً على جمالها، وبينما كانت الوردة الصغيرة تفكر ملياً فيما قالت له شجرة الورد الكبيرة قالت في نفسها: إن شجرة الورد الكبيرة عاشت طويلاً، وعاصرت أحداثاً كثيرة، وهي تملك خبرة طويلة؛ ولن يكون كلامها عبثاً، وقد كان من جميل حظي أن أعيش كل هذه الفترة إلى جوارها.

وبينما كانت الوردة الصغيرة تفكر في ذلك إذا بصاحب المنزل يأتي إلى جوارها، ويقول والفرحة تغمره: وردتي الجميلة لك عندي بشارة سارة، فابتهجت الوردة الصغيرة جداً بعد أن ناداها الرجل بوردتي الصغيرة، وازدادت سعادتها عندما أخبرها الرجل أنه سوف يفصح لها بسر من أسرارها، وبالتالي سوف تشاركه في أفراحه، فقال لها في فرح لم تشاهده عليه من قبل:

هل تعلمين أن وردتي ستعود إلى بيتها، لقد رببتها جيداً حتى أصبحت أفضل بنت في الناحية، لكنها كانت دائماً تتطلع إلى حياة المدينة، لكنها في النهاية سوف تعود إلى بيتها!! هل تقدرين فرحتي أيتها الصغيرة!!

ثم قال في تأثر: لو كان في العمر بقية سوف أذهب غدًا صباحًا لأحضرها، وسوف أظل طوال الليل أنتظرها بفارغ الصبر حتى يأتي الصباح، ولن أكل أو أشرب أو أنام حتى الصباح!! وفي تلك اللحظة علمت الوردة معنى قلة الصبر؛ فما هو صاحبها سوف ينتظر قدوم الصبح ليذهب إلى ابنته التي أحبها أكثر من حياته، بل وروحه على أحر من الجمر!!

كما علمت أن الإنسان عندما يكون منتظرًا لشيء يحبه كثيرًا ويتمناه لا يستطيع التفكير في شيء، أو عمل أي شيء من شدة الإثارة التي تنتابه، والقلق الذي يشعر به، وعلمت الوردة لماذا تعيش هذه المشاعر نفسها عندما تتمنى حل قيودها، والتخلص من تلك المسامير والحبال التي تربطها في التكعية الكبيرة؛ لذلك سئمت الوردة من التفكير في هذا الأمر، ولم يعد في ذهنها سوى شيء واحد، وهو متى تتخلص من تلك القيود البغيضة؟

وقبل الفجر ارتدى الرجل ملابسه، وتناول إفطاره، واستعد للخروج لكنه وجد الوقت ما زال مبكرًا فظل يتجول في الحديقة حتى انطلق الصبح، وارتفعت الشمس من خلف قمم الجبال شيئًا فشيئًا، ثم هبت رياح خفيفة داعبت أوراق الأشجار وأغصانها، وكلما ازداد ضوء النهار وضوحًا كان النهر الصغير يبدو أكثر فأكثر، وما هي إلا دقائق معدودات حتى بدا النهار تمامًا، وأصبح كل شيء واضحًا وجميلًا، وظهرت من بعيد بعض الخراف الصغيرة وهي تلعب هنا وهناك فرحًا بهذا اليوم الجديد.

لكن الوردة الصغيرة لم تكن تشعر بتلك السعادة قط؛ ولا تشعر بجمال الطبيعة من حولها، ولا تكترث بتجول الرجل الذي أحبها واعتنى بها في حديقته، وظلت الوردة على هذه الحال حتى فتح الرجل باب حديقته، ولولا صوت الباب لما شعرت الوردة به!!

اقترب اللقاء

مرت الأيام تباغاً، وكأنها نهر ينساب في مجراه ليلاً ونهاراً، وصيفاً وشتاءً، لكن الوردية الصغيرة حتى هذه اللحظة لم تحقق ما كانت تفكر فيه؛ فكلما كان الوقت يمر كانت أعصابها الضعيفة تزداد ضعفاً، وعقلها يزداد اضطراباً، والمشاعر المتلاطمة تتصارع بداخلها بقوة، فأصبحت تنتظر مصيرها بين خوف ورجاء، وصبر وعجلة، فأصبحت كالمغشي عليه، أو قارب على مفارقة الحياة.

ومنذ أن فكرت الوردية الصغيرة في التخلص من قيودها، حتى واجهها ألف عائق وعائق يحول دون تحقيق ما تصبو إليه، فتارة يأتي صاحب الحديقة، ويتحدث عن أخبار محيرة عن ابنته التي يبحث عنها، وتارة أخرى تومئ الشجرة الكبيرة بايماءات غريبة وتلمح بكلمات أغرب، وكأنها تعلم ما تخطط إليه الوردية الصغيرة!!

لكن ترى هل تستطيع الوردية الصغيرة أن تتخلص من قيودها بعد كل هذه المشقة والعناء؟! أم أنها ستظل بقية عمرها معلقة على هذا الحائط؟!!

بكت الوردية الصغيرة عندما تفكرت في حالها بكاءً مريراً، حتى إنها لم تمتلك نفسها فسقطت منها دمعتان على الأرض انتبهت لهما الشجرة الكبيرة فقالت متسائلة:

ماذا حدث يا صغيرتي؟

فقال الوردية: لا شيء.

فقال الوردية العجوز: فلماذا تبكين إذن؟!!

فقال: لقد دخلت ذرة تراب في عيني!

هزت الشجرة الكبير رأسها مستغربة، وكأنها تعلم ما يدور في عقل الوردية الصغيرة، ثم قالت: إن كنت تشعرين بألم فتحدثي، فربما استطعنا مساعدتك، وقد قالوا قديماً: من لا يفصح عن ألمه لا يجد العلاج.

فقال الوردية الصغيرة: قلت لك لا شيء، كل ما في الأمر أنني متضايق قليلاً.

فهزت الشجرة الكبيرة أكتافها، وكان لسان حالها يقول للوردية الصغيرة: كما تحبين، ثم تركتها، وانشغلت ببعض أمورها.

مر الوقت ككل يوم، وأصبحت الشمس فوق المنزل من الناحية الخلفية، وكانت تبدو كأنها تقف في مكان تلمس فيه الأرض والسماء معاً، وكانت حرارتها كأنها نار متقدة، وكان النهر قد نال

نصيبه من لهيبها فبدا لونه أحمر متقدًا من شدة الوهج!! لكن الورد الصغيرة لم تكن تشعر بكل ذلك، ولا ترى أي شيء مما يحدث حولها!!

ثم قالت في نفسها: لقد مر هذا المساء أيضًا!! وقد قال صاحب المنزل إنه سيذهب في الصباح لإحضار ابنته، وعندما سيذهب سأكون بمفردي، وأستطيع أن أفعل ما يحلو لي، ولن أنتظر سوى ليلة واحدة وأحقق ما أتمناه.

عم المساء الأجواء، وبدت أنوار المدينة ترى من بعيد، وحضر صاحب المنزل ومعه اثنان من أصدقائه، كان الرجل فرحًا مبهجًا للغاية، وبدا كأنه إنسان آخر غير الذي يعرفونه؛ فقد كان يتحدث دون توقف، ويضحك من قلبه، وكان في أيدي صديقيه لفافات عديدة، فوضعوها على المنضدة الموجودة أسفل التكعيبية، وكانوا قد أعدوا الموقد للشواء، فانتشرت رائحة الفحم في بداية الأمر، ثم انتشرت بعد ذلك رائحة اللحم المشوي، وبينما كان صاحب المنزل يقوم بشوي اللحوم على الموقد، كان صديقه مشغولين بعمل أشياء أخرى، فقد كان أحدهما يسخن الخبز، والآخر يعد السلطة.

وبعد فترة قصيرة جلسوا جميعًا على المنضدة، وبدؤوا يتناولون طعامهم، وهم يتحدثون في سعادة، وكان يبدو من حديثهم أن صاحبهما قد أفصح لهما عن سبب فرحته، لهذا حضرا ليشاركاه فرحته، ولا يتركاه وحيدًا في تلك الليلة التي كانت ستمر عليه كالدهر!!

كانوا جميعًا يتحدثون عن أصدقائهم في العمل، ويبتسمون، وكان أحدهم يحب الضحك والمزاح كثيرًا، وكان بين الحين والآخر يمزح معهم، فيبتسمون، وقد كان لهذه المسامرة أثر كبير جدًا على نباتات الحديقة، وقد أحدثت تغييرًا كبيرًا في نفوسهم.

وقد تجاذب الأصدقاء أطراف الحديث عن أشجار الورد التي تحيط بهم، فقال واحد منهم بعد أن نظر في دهشة إلى الحديقة، وكأنه لم يرها من قبل:

الله!! الله!! إن حديقتك جميلة للغاية، وبها ورود من أروع ما رأيت!! ففرحت كل الورد بعد سماعها لهذا المديح الجميل، حتى إن شجرة الورد العجوز شعرت بالفخر الزهو من نفسها، ثم قال الرجل الذي يحب المزاح: أرى أن نطبخ هذه الوردة مع الفاصوليا، فابتسم الجميع، لكن جميع الورد ارتعدت من شدة الخوف؛ لأن شيئًا كهذا لو حدث لمتن جميعًا، وقلن في أنفسهن:

ترى هل يمكن أن يحدث هذا، أم أن هذا الرجل يمزح كعادته!؟

فبدأت الورد تستمع إلى حديث الرجل بشغف كبير لتعلم حقيقة ما قاله، لكنهن بعد قليل تنفسن الصعداء بعد أن علمن أنه مزاح، وقالت شجرة الورد العجوز باسمته: لقد استمعت إلى مسامرات كثيرة من قبل، لكن لم أستمع إلى مسامرة لطيفة وكلها حب وود مثل هذه المسامرة!

وبدأ أحد الجالسين ينشد بصوت عذب، وبدأت معه أصوات الجالسين تعلو بالغناء معه، وأخذت جميع الورود يستمعن إلى هذا الغناء الرقيق، وقد أنشد الرجل بعض الأبيات عن الورود فتأثر صاحب المنزل جداً بعد أن تذكر ابنته «وردة»، وأنه سوف يلحق بها غداً صباحاً، ولم يتمالك نفسه فبكى وهو ينشد مع أصدقائه، فحزنت لحزنه جميع الورود والأشجار وأنشدن كلهن معه في حزن وألم.

فقال الورد الصغيرة: إن كلمات هذه الأغنية تتحدث عن حالنا، وما نحن فيه من هم وغم!!
فقال لها شجرة الورد الكبيرة:

اصمتي أيتها الورد ولا تتحدثي، لماذا أنت دائماً تجعلين لك نصيباً من كل شيء حتى الأحران؟!، ولم تتمالك الشجرة الكبيرة نفسها فأخذت تبكي هي الأخرى متأثرة ببكاء الرجل.
مر الوقت سريعاً، وبدأ الضيوف يلممون حاجاتهم في ساعة متأخرة من الليل، فلما رآهم صاحب المنزل قال مناشداً: لتبقوا معي قليلاً، فقالوا جميعاً: لقد تأخر الوقت، ونخشى أن يقلق أهلنا علينا.
وقال أحدهم: سوف نستيقظ مبكراً، ويجب أن ننام الآن لنأخذ قسطاً من الراحة، وقال آخر: عندما تذهب إليها غداً صباحاً مر عليّ لنذهب معاً ثم تمنوا له جميعاً نوماً هادئاً مريحاً، ثم انصرفوا.
جلس الرجل في الحديقة بمفرده بعد رحيل الضيوف شاردًا واهمًا، ولم تكن الأشجار أو الأزهار تعلم هل كان يشاهد الحديقة، أم كان يرسم في خياله كيف سيكون لقاءه مع ابنته؟! حتى الغراب الذي اعتاد النعيق في مثل هذا الوقت من كل ليلة صمت تمامًا عن النعيق، وكأن الجميع كانوا ينتظرون مرور الوقت بسرعة، ينتظرون سماع صياح الديكة، وشروق الشمس من خلف الهضبة، حتى يذهب الرجل إلى ابنته، ويحضرها، أما الورد الصغيرة فقد كانت على عكس الجميع، فقد كانت تقول في نفسها: ستأتي وردة، وتذهب وردة أخرى!!

ثم ألقت بنفسها في حضن السماء، وغاصت في فكر عميق، وأخذت تتأمل السماء والنجوم والقمر، وهي تقول: لو أن لكل واحد منا نجمة في السماء، فيا ترى أي هذه النجوم نجمتي؟! وهل هي قريبة مني أم بعيدة؟ وهل هي مضيئة أم معتمة؟ ثم نظرت إلى نجمة لا معة أمامها، وقالت: ربما تكون هي نجمتي!

فأحبتها الورد على الفور، وأرسلت إليها قبلة حانية، وقالت في نفسها: سوف أهرب في يوم ما، وربما أتمكن من الطيران على أجنحة الريح، وأصل إليك يا نجمتي!!

وبينما هي هائمة في فكرها لم تنتبه إلى حديث الشجرة الكبيرة لها، وهي تسألها: مع من تتحدثين؟ وإلى من تهمسين؟ كما لم تنتبه الورود والأشجار إلى صاحب المنزل الذي كان يتجول

في الحديقة، وهو يفكر في عمق، ثم دخل إلى بيته.
أما شجرة الورد الكبيرة فقد عاشت يوماً رائعاً ذكرها بالماضي الجميل، وما فيه من فرح وسعادة
وسرور، فقالت متتهدة: كم هي ليلة جميلة!!

فأجابتها الورد الصغيرة قائلة: نعم فالقمر يبدو مضيئاً جداً والنجوم تتلألأ في فرح.
فقالت الشجرة العجوز: نعم فالقمر والنجوم في غاية الجمال والروعة، وكذلك كان غناء الرجل
الذي ذكرني بالماضي الجميل، ياليت هذه الليلة لا تنتهي أبداً!!
فرد الغراب من بعيد: ولا تنسيا أنني أيضاً أشرق هذه الليلة، وبدأ ينطق بقوة، فقالت شجرة الورد:
لماذا تفسد علينا ليلتنا أيها الغراب!؟

وبينما كانت الشجرة العجوز تقول ذلك، إذا بصوت أزيز شديد يحدث فجأة، فخافت الورد
الصغيرة بشدة، فقالت لها الشجرة الكبيرة مطمئنة لها. لا تخافي يا صغيرتي لعله خير، لكنها هي
نفسها كانت خائفة جداً؛ فلم يكن هناك سبب يفسر هذا الصوت الغريب فلم تكن هناك رياح، كما أن
صاحب المنزل بالداخل، ولا يوجد خارج المنزل أية دواب يمكن أن يصدر عنها هذا الصوت!!
إذن فما مصدر هذا الصوت!؟

توقف الجميع عن الحركة، وبدؤوا ينصتون بتركيز إلى الأجواء القريبة والبعيدة عنهم، لكن لم
يبد حولهم شيء طارئ يمكن أن يكون سبباً لهذا الصوت!! فقالت الورد الصغيرة: ترى هل سمعنا
خطأ!؟

فردت الشجرة العجوز: ربما يا صغيرتي، وهنا سكنت الورد الصغيرة عن الكلام، وبدأت
ترتعش من شدة الخوف.

ومرت عدة دقائق وكأنها دهرٌ، وفجأة سُمع هذا الصوت مرة أخرى، وسمع معه في الوقت نفسه
صوت دوي غريب يأتي من خلف سور الحديقة، فعم السكوت المطبق مرة أخرى، وبدأ كل من في
الحديقة يرتعشون بقوة من شدة الخوف.

وقد كان هذا الأمر غريباً على سكان الحديقة، فتساءلوا جميعاً في دهشة: ترى من خلف هذا
السور؟ لا بد أنه ينوي سوءاً مادام لم يُظهر نفسه!؟

وفجأة انتبه الجميع على صوت خطوات خافتة مُقبلة نحو الحديقة، وبدأ من بعيد خيال يحمل في
يده مسدساً، ويلف وجهه بمنديل، ويضع على رأسه قبعة ملونة، ولم يكن يبدو منه سوى عينيه
السوداوين اللتين تنظران نظرة غدر وشر!!

فقال الورد الصغيرة وهي ترتعد من شدة الخوف: يبدو هذا الرجل شريراً للغاية: فردت الشجرة الكبيرة، وهي خانقة أيضاً: نعم.. نعم..!!

كانت الورد الصغيرة وشجرة الورد العجوز ترتعدان من الخوف؛ فلربما ألحق هذا الرجل الضرر بصاحب المنزل، خاصة أن المنزل يقع في مكان منعزل نوعاً ما، وربما لن يأتي أحد لنجدته، صحيح هناك بعض الحراس الذين يمشون على المكان في بعض الليالي، لكن ترى هل سيمرون الليلة؟ ولو مروا هل سينتبهون إلى وجود هذا الرجل؟!

وبعد قليل وصل الرجل المقنع ذو الملابس السوداء إلى الباب، فدفعه برفق لكن الباب كان مغلقاً جيداً، فسار بحذر بمحاذاة الحائط حتى وصل إلى النافذة، وبدأ ينظر إلى الداخل بحرص شديد، كانت الورد الصغيرة قد انحسرت بقوة بين الرجل وبين الحائط حتى كادت تُلغى أنفاسها الأخيرة، فقاومت التعب بكل ما أوتيت من قوة، وقالت: هذه فرصتي سوف أغرس أشواكي في ذراع هذا الرجل لعله يبتعد، وبالفعل نفذت الورد خبطتها، وغرست أشواكها في ذراعه بقوة، فبدأت تنزف دمًا.

كانت الورد الأخرى تنظر إلى ما يحدث بخوف وترقب، فمن ناحية لا تستطيع أن تقدم يد العون للورد الصغيرة، ومن ناحية أخرى تخشى أن توضع في هذا الموقف العصيب الذي تمر به الورد الصغيرة، فحاولت أن تصرخ لكنها لا تستطيع أن تفعل ذلك!!

فقال الورد الصغيرة متأثرة: لو لم أكن مربوطة في هذه التكبعية لربما تمكنت من فعل شيء أفضل من هذا، فلربما غرست أشواكي في قدمه وذراعه وكل جسمه حتى يضيق ذرعاً، ويفر هارباً، لكن مع الأسف فأنا مقيدة بهذه القيود والأغلال، ولا أستطيع أن أفعل شيئاً، وكل ما هناك أنني أشاهد هذا الرجل الشرير أنا وجميع من في الحديقة ولا نستطيع أن نفعل شيئاً!!

فقال الشجرة الكبيرة: ندعو الله أن لا يصيب صاحب المنزل مكروه من هذا الرجل الشرير، وإن شاء الله لن يصيبه مكروه ولا أذى.

وفي تلك الأثناء توجه الرجل مرة أخرى إلى الباب وطرق عليه عدة طرقات بقبضة مسدسه، لكن صاحب المنزل لم يجبه، وأغلب الظن أن صاحب المنزل ارتاب في أمر الطارق على بابه في تلك الساعة المتأخرة، ففضل أن ينظر من خلف النافذة أولاً قبل أن يفتح الباب، لكنه مع الأسف لم يستطع أن يرى من بالباب، فأراد أن يفتح النافذة قليلاً ليعلم من بالباب فانتبه الرجل إليه وفر هارباً خلف المنزل، فشرع الكلب به فأخذ ينبج بشدة، فمالت الورد الصغيرة على شجرة الورد الكبيرة،

وقالت لها: أظن أن هذا الرجل سيخاف من الكلب ويهرب، فقالت الشجرة الكبيرة: لا أظن ذلك؛ فما زال الكلب ينبح، وهذا معناه أن هذا الشرير لا يزال موجوداً، اللهم احفظنا جميعاً من شره. وبينما كانت الوردة تتحدث إذا بخيالات كثيرة تتداخل أمام عيونهم؛ فقد أتى رجل آخر يرتدي مثل الرجل الأول من المكان نفسه، ثم أتى رجل ثالث، وقد كان أحدهما يحمل عصا غليظة، والآخر يحمل سكيناً طويلاً، ووقف الرجل الذي يحمل المسدس على يمين الباب، والذي يحمل سكيناً على يسار الباب، أما الرجل الذي يحمل العصا فقد وقف في أحد الأركان ليراقب المكان. كان الكلب ينبح بكل قوته، لكن لا مجيب له، كان كل من في الحديقة يشاهدون ما يحدث، ويتربصون في رعب وخوف.

أخذ الرجل يطرق على الباب بكل قوة، فقال صاحب المنزل بصوت متهدج: من أنتم؟ وماذا تريدون؟!

فلم يرد عليه الرجل، وأخذ يطرق على الباب بكل قوة مرة أخرى، فكرر صاحب المنزل سؤاله مرة أخرى، فقال أحدهم: افتح الباب، فقال صاحب المنزل بصوت خافت: ومن أنتم حتى أفتح لكم؟! غضب الرجل الذي يحمل المسدس، وأخذ يطرق على الباب بعنف، وهو يقول: افتح الباب.. افتح، لن نضرك.

فقال صاحب المنزل مهدداً: اذهبوا بعيداً عن بيتي وإلا أطلقت عليكم النار، فعم صمت رهيب لبرهة، فقال صاحب المنزل: أنا رجل أعيش في حالي، ولم أتعرض بالأذى لأي مخلوق من قبل، فماذا تريدون مني؟ هيا.. هيا ارحلوا بعيداً عني.

فرجع الرجل الذي يحمل المسدس إلى الخلف، وهجم على الباب بكل قوة، فاهتز المنزل بأكمله، فظنت الوردة الصغيرة أنها ستقتلع من جذورها، أو أن هولاء الأشرار سيفعلون ما كانت ستفعله الرياح، أما الشجرة الكبيرة فقد سقطت منها ورقة أو ورقتان من شدة الهزة، وبينما كان الرجل يهجم بالهجوم على الباب مرة أخرى إذا بصوت طلق ناري يأتي من الداخل، كان صاحب المنزل قد أطلقه من بندقيته لتخويف اللصوص.

قالت شجرة الورد الكبيرة عندما سمعت هذا الصوت: أحسنت.. أحسنت يا صاحب المنزل؛ فقد يسمع الحراس هذا الصوت فيأتون لنجدتك على الفور.

أما اللصوص فقد خافوا من صوت الرصاص؛ فلم يكونوا يتوقعون أن يتجرأ الرجل ويفعل ذلك، ففروا هاربين خلف سور الحديقة.

وعم السكون المكان لبرهة، ولم يكن يُسمع سوى صوت النهر، ونعيق الغراب، وبدا المكان وكأن شيئاً لم يحدث، وكأن هؤلاء اللصوص لم يأتوا إلى بيت الرجل بالمرّة!! فظنت الوردية الصغيرة أن الأمر قد انتهى عند هذا الحد، ولم تسمع سوى صوت خافت، قادم من ناحية باب المنزل، فقد خرج صاحب المنزل وفي يده بندقيته، وتحصص المكان من حوله بسرعة، فلما لم يجد شيئاً ذهب إلى خلف المنزل، وأطلق سراح كلبه، فهرول الكلب بسرعة نحو الظلام، ثم عاد، وأخذ يجوب المكان يميناً ويساراً وهو في حالة ترقب واضطراب، وكأنه يعلم أن هناك من يختبئ في مكان ما!!

وفجأة ظهر اثنان من اللصوص من أحد جوانب المنزل، كان أحدهما على اليمين والآخر على اليسار، فحار الكلب بينهما، وقبل أن يصبوب صاحب المنزل بندقيته وثب عليه الرجل الذي كان يحمل مسدساً من فوق شجرة اللوز، وصبوب المسدس نحوه، فألقى الرجل بندقيته على الأرض، فإذا بالرجل الذي يحمل العصا الغليظة يضرب الكلب الذي تعلق بذراعه ضربة قوية في بطنه فيطرحه أرضاً، لكن الكلب قاوم الألم، وتحامل على نفسه، وقام مرة أخرى فضربه الرجل ضربة أخرى فخارت قواه تماماً، فظل الكلب يزحف على بطنه بصعوبة حتى تمدد تحت قدم صاحبه، وبدأ يئن من شدة الألم، وبدا في عينيه الحزن، وكأنه يعتذر لصاحبه لأنه لم يتمكن من حمايته!

كانت الوردية الصغيرة تشاهد ما يحدث باندهاش شديد، وكان مشهد الكلب وهو يئن والدموع تتزل من عينيه قد أصابها بالذهول والحيرة؛ فهي لم تر الكلب وهو يبكي من قبل، فأصبحت الوردية الصغيرة، وبقية الورود الأخرى في حالة من القلق والرعب لدرجة الموت، وكن جميعاً يقلن في أنفسهن: تُرى ماذا سيحدث بعد ذلك؟ وكيف سننجو جميعاً من هذا البلاء؟! وماذا يريد هؤلاء الأشرار الذين يرتدون الملابس السوداء من صاحب المنزل؟!

وهنا سألهم صاحب المنزل في قلق واضطراب: ماذا تريدون؟

فقال الرجل الذي يحمل العصا: النقود.

وقال الرجل الذي يحمل سكيناً: أعطنا نقودك، ولن نصيبك بمكروه.

فقال صاحب المنزل: أية نقود؟ أنا لا أملك شيئاً!!

فكرر الرجل الذي يحمل المسدس كلامه قائلاً: أعطنا النقود وإلا..!!

وقال الذي في يده السكين: هيا.. هيا لا تؤخرنا أعطنا النقود.

فقال صاحب المنزل: لقد قلت لكم ليس عندي نقود!

فقام الرجل الذي في يده السكين بإيذاء صاحب المنزل، فقال صاحب المنزل لهم وهو يئن من الألم: لقد قلت لكم ليس عندي أموال، ألا تصدقون؟!

لكنهم لم يستمعوا إليه، وقام الرجل الذي في يده المسدس بضربه ضربتين قويتين على خصره، فتألم الرجل بشدة، وأخذ يصرخ في وجوههم ويقول: ليس عندي أموال، ألا تفهمون؟! لو كان عندي مال لأعطيته لكم، لأمنع عن نفسي كل هذا الأذى.

فوقف الرجل الذي يحمل المسدس، وقال لصاحب المنزل: اسمع يا هذا، لقد بحثنا كثيرًا في كل المنطقة، وعلمنا أنك أغنى رجل فيها، وأنت تملك أموالًا كثيرة لا حصر لها مثل «قارون»، وأنت تمتلك المزارع والقصور، وتنفق على خدمك ببذخ حتى أصبحوا أغنياء من كثرة إنفاقك عليهم، وكل من في هذه البلدة يعرف ذلك، فهيا أخبرنا أين النقود، ولا تجعلنا نفقد أعصابنا أكثر من اللازم فيكون مصيرك الموت!!

فقال لهم صاحب المنزل: إن كل هذه المعلومات ليست صحيحة؛ نعم لقد كنت ثريًا جدًّا، ولكن كان هذا في الماضي، أما الآن فلا أملك شيئًا بالمرّة، حتى إنني سوف أذهب في الصباح لأحضر ابنتي، ولا أملك مصاريف المواصلات، وقد اقترضتها من أصدقائي! كان صاحب المنزل يحدث اللصوص والدماء تتزف من فمه بشدة، لكنه أكمل حديثه على الرغم من ألمه وتعبه قائلاً:

ألستم آباء؟! ألا يوجد منكم من له أبناء يعولهم ويخاف عليهم؟! اتركوني أرجوكم فإن ابنتي تنتظرنني غدًا صباحًا.

فقال أحد اللصوص بصوت مرتفع: اتركوه حتى يتمالك نفسه، ويستعيد قواه.

وبعد قليل عادوا إليه مرة أخرى، فقال له من يحمل المسدس:

أعطنا النقود يا هذا، ولا تتقل علينا، وإلا كانت عاقبتك وخيمة، وكرر زميلاه كلامه، وهدداه بالقتل إن لم يفعل!!

فقال الرجل بصعوبة: ارحموني.. لقد قلت لكم ليس عندي مال، وإن لم تصدقوا فافعلوا ما بدا لكم، كيف أعطيكم شيئًا ليس موجودًا أصلًا؟!

فلما يئس اللصوص منه أوسعوه ضربًا وركلاً حتى سقط الرجل على الأرض، فلم يتركوه على الرغم من ذلك، بل زادوا في ضربه وركله حتى غاب عن الوعي!!

سمعت الوردة الصغيرة أنين الرجل، فحزنت بشدة، وأحست أن هذا الأنين يصدر عنها، فأشفقت عليه، وبعد فترة انقطع صوت أنين الرجل، فخافت الوردة، وقالت: ترى هل مات الرجل أم ماذا؟

أما اللصوص فقد تركوا صاحب المنزل مدرجًا في دمائه، وهروا اثنان منهم إلى داخل المنزل، بينما بقي الثالث في الخارج، وبعد قليل سمعت الوردة الصغيرة أصوات أشياء تتبعثر هنا وهناك، لقد كان اللصوص يبحثون عن النقود، وعن الأشياء القيمة في المنزل، وبعد فترة خرجا، وأشارا بأيديهما إلى الرجل الثالث إشارة توحى بالخروج من المكان، ثم هربوا جميعًا، وغاصوا في الظلام.

كانت الوردة الصغيرة ترتعش، والشجرة الكبيرة تبكي بحرقة، وكان الغراب ينطق بقوة، والنهر ينساب في مجراه بصورة طبيعية، وكأنه لا يعلم شيئًا عما حدث، أما القمر فقد اختفى خلف سحابة كبيرة فأظلمت الدنيا، بينما صاحب المنزل يرقد مغشيًا عليه تحت التغطية، والكلب يزحف بجواره، وهو يئن من الألم.

مالت الوردة الصغيرة على الشجرة الكبيرة، وقالت لها:

تُرى ماذا سيحدث الآن؟!

كانت الشجرة الكبيرة تبدو كأنها تمر بأزمة عصبية، فقالت بصعوبة: لا أعلم يا صغيرتي. فقالت الوردة الصغيرة في تأثر: لم أكن أتخيل أن يحدث هذا أبدًا!! كم هو صعب للغاية أن يتعرض هذا المسكين الذي كان يستعد إلى لقاء ابنته بعد فراق طويل إلى مثل كل هذا؟! كيف يفعل إنسان بأخيه الإنسان هكذا؟! هل يدفعهم حب المال لمثل هذه الأفعال البغيضة!! إن صاحب المنزل لم يؤذ أحدًا حتى يفعل به مثل كل هذا!! إنه شخص طيب القلب رقيق المشاعر!! كانت الشجرة الكبيرة تستمع إليها وهي تبكي بحرقة، وتدعو الله أن لا يكون قد مات، وكانت تريد أن تساعد الرجل لكن لم تستطع أن تفعل شيئًا!! لقد طعن المسكين بالسكين، ولا يوجد من يقوم بنجدته، وإن لم يُنقل إلى المستشفى لربما مات متأثرًا بنزيفه!!

فقالت الوردة الصغيرة: آه لو لم يأت أحد!!

واقترب الفجر وما زال الرجل راقدًا في الحديقة مدرجًا في دمائه والزهور والورود والأشجار تشاهد المنظر المؤلم ولا تملك أن تفعل له شيئًا!!

وفجأة انتبهت الوردة الصغيرة على صوت أنين الرجل، فقالت وهي سعيدة للشجرة الكبيرة: انظري إنه لم يموت!!

فقالت الشجرة الكبيرة: الحمد لله.. الحمد لله.. كما أن الكلب يتحرك هو الآخر، وقد هروا إلى الخارج، وأخذ ينبح بكل قوة.

وبعد فترة حاول الرجل النهوض، وكان يُمسك بيده اليمنى ذراعه اليسرى، وهو يتألم، ثم شار متعثراً حتى وصل إلى باب المنزل، ثم سقط مرة أخرى، فتحامل على نفسه، ومزق قميصه، وربط به جرحه جيداً، ثم أسند ظهره إلى حائط المنزل، ونهض بصعوبة.

وعند الفجر بدأت الديوك تصيح بقوة، ثم أُن لصلاة الفجر، لكن الرجل فقد وعيه مرة أخرى أمام باب المنزل، فعادت الورود والأشجار إلى حالة الاندهاش والخوف ثانية، وأصبحن في حالة يُرثى لها من التعب، ولم تتمكن وردة واحدة من النوم طوال الليل، وكانت الوردة الصغيرة تدعو الله باستمرار لكي يحفظ صاحب المنزل، فلما بدأت أشعة الشمس تشتد غابت الوردة الصغيرة عن وعيها.

وفجأة أفأقت جميع الورود والزهور على صوتٍ غريب لم تسمعه من قبل، لقد كان هذا الصوت هو صوت آلة التنبيه الخاصة بسيارة الإسعاف، فتوقفت السيارة أمام المنزل، وقفز منها رجال يرتدون ملابس بيضاء، ويحملون نقالة، وضعوا عليها صاحب المنزل، ثم نقلوه إلى السيارة، ثم تحركت السيارة بسرعة وهي تطلق نفيها، كان الصوت يضعف شيئاً فشيئاً كلما بعدت السيارة عن المنزل، حتى أصبح الصوت غير مسموع تماماً.

لقد حدث كل ذلك في دقائق معدودات، عاش بعدها كل من في الحديقة في أزمة أخرى بعد أن بُعدَ الرجل عن أعينهم، لكنهم كانوا في الوقت نفسه في حالة من البهجة والسعادة؛ لأن صاحب المنزل قد نقل إلى المستشفى، وأصبح هناك أمل في إنقاذه.

فمالت الوردة الصغيرة على شجرة الورد الكبيرة، وسألتها:

تُرى كيف علم هؤلاء المسعفون بالحادثة؟!

فقالَت الشجرة الكبيرة: أغلب الظن أن أحد أصدقائه قد أخبرهم بذلك، وأغلب الظن أنه من كان ينتظره ليذهباً معاً إلى «وردة»، فلما تأخر عنه، جاء ليعرف سبب تأخره، فوجده هكذا، فأبلغ الإسعاف.

فقالَت الوردة الصغيرة: كم هو جميل ما فعله، وكم هي جميلة تلك الصداقة!!

فتنهدت الشجرة الكبيرة، وقالت في فرح: كم كان كابوساً مفرعاً!!

فأجابتها الوردة الصغيرة: نعم.. الحمد لله أنه انتهى على ذلك.

فقالَت الشجرة الكبيرة:

ليت صاحب الحديقة ينجو من تلك الحادثة!! فابتسمت الوردة الصغيرة، وقالت لها: أشعر أنه

سيشفى بإذن الله، ثم قالت: إن الله في عون الطيبين، وهو رجل طيب، وسوف يشفيه الله بإذن الله.

لقد غيرت تلك الأحداث الرهيبة من تصرفات الشجرة الكبيرة وكذلك الوردة الصغيرة فأصبحت الشجرة الكبيرة تنظر إلى الأحداث بنظرة فيها اضطراب وقلق زائد، أما الوردة الصغيرة فأصبحت تنظر إلى الأمور بتقاول وأمل أكثر من ذي قبل!!
فقالَت الوردة الكبيرة: لكن ماذا سيحدث لوردة، تلك المسكينة التي تنتظر والدها اليوم؟ من سيذهب لإحضارها؟

فردت عليها الوردة الصغيرة بحكمة، وكأنها لبست رداء الحكمة قائلة:
لا تقلقي فبعد الظلمة يأتي الضياء...

كانت الوردة الصغيرة تفكر فيما حدث لصاحب المنزل، وتتألم لآلامه نسيت مشكلتها تمامًا، لكنها مع الأسف تنبتهت لها عندما أحرقت أشعة الشمس أغصانها الرقيقة، فقالت في نفسها: كنت قد نسيت ألمي تمامًا، لكن أشعة الشمس ذكرتني بجرحي القديم، فقالت في نفسها:
لا.. لن أتخلى عن أفكاري، لن أترك ما خططت له!! وكان قوة خفية تضغط عليها بقوة عجيبة حتى لا تتخلى عن تلك الأفكار التي تملأ رأسها. فرددت بحسم قائلة: لن أتخلى عن أفكاري.. لن أتخلى عن أفكاري!! فسمعتها الشجرة الكبيرة فقالت لها متسائلة:

لن تتخلي عن ماذا يا صغيرتي؟ قالت ذلك وهي تهز رأسها يمينًا ويسارًا، وكأنها تقول للوردة الصغيرة: لن ينفكك أبدًا ما تفكرين فيه!!
فردت عليها الوردة الصغيرة قائلة: لا.. لا شيء.

كانت الشجرة العجوز لا تصدقها فقد كانت تعلم تمامًا أنها تخطط لشيء، فقالت لها: لا شيء!!
لا بد أن هناك شيئًا!! احك لي ولا تترددي!
تحيرت الوردة الصغيرة، وقالت مضطربة:
قلت لك لا شيء. لا يوجد في رأسي شيء!!

كانت الشجرة العجوز تعلم بخبرتها الطويلة أن الشجرة تُخفي شيئًا، وكانت بخبرتها أيضًا تستطيع أن تعلم هذا الشيء الذي تخفيه تلك المعاندة الصغيرة، فقالت لها: أهكذا!! حسنًا كما تُحبين، ثم صمتت.

قضى كل من في الحديقة ليلة قاسية لم يذق فيها أحد طعم النوم، فلما نقل صاحبهم إلى المستشفى شعر الجميع بالراحة والطمأنينة، وغاصوا في سبات عميق، وعند الظهر استيقظت الوردة الصغيرة من ألم في رأسها، وكانت الشجرة الكبيرة قد استيقظت قبلها بقليل، فقالت شجرة اللبلاب بصعوبة:

كم أنا عطشانة!!

فردت عليها الوردة الصغيرة وهي تتألم من رأسها قائلة: وأنا أيضاً.

وشاركتهم الشجرة الكبيرة قائلة:

أنتم جميعاً على حق!! فالיום حار.. حار جداً، لقد بدأت الشمس تحرقنا بقوة.

فقال شجرة اللبلاب:

إن الشمس تحرق أغصاننا، وتجفف المياه التي في جذورنا، ماذا سنفعل؟! ماذا سنفعل!؟

فقال الشجرة العجوز: أنتم جميعاً على حق.

فقال الوردة الصغيرة:

لا تقلقوا إنها موجة وستمر بإذن الله، وقد بدأت أفقد مياه جذوري مثلكم، ولم تعد بها نقطة مياه

واحدة!!

كانت الشجرة الكبيرة هي أكثر الأشجار تخوفاً لأنها تعرضت لموجات جفاف كثيرة من قبل،

وهي الآن شجرة عجوز، قد اقتربت نهايتها، فرفعت رأسها إلى السماء، وقالت في ألم وقلق: لا

توجد سحابة واحدة في هذه السماء الكبيرة، وكأن الشمس المحرقة قد استولت على السماء بأكملها!!

فأخذت زهرة اللبلاب تبكي بحرقة، وتقول:

ماذا سيكون مصيرنا؟ لقد صب علينا البلاء صباً، إن الشمس ستحرقنا، ونحن نقف هكذا لا

نستطيع أن نفعل شيئاً؟! وبدأت قواها تخور وتفقد أوراقها نصارتها شيئاً فشيئاً.

ولم تكن الوردة الصغيرة في حال أفضل من حال شجرة اللبلاب، فقد خارت قواها هي الأخرى،

ولم يكن يخطر ببالها أبداً أن تفعل بهن الشمس هكذا، لقد كانت جذور الوردة الصغيرة يانعة، أما

أغصانها فقد بدأت تفقد مياهها، ولم يعد بها أوراق جافة أو حتى ذابلة لكي تحتمي بها، ولو لم

تشرب فسوف تجف تماماً وتموت، ولم تكن الوردة تفكر في أوراقها أو في أي شيء آخر، بل كان

كل تفكيرها هو كيف تروي ظمأها، وأخذت تتمنى أن تمطر السماء ولو بضع قطرات خفيفة، أو

يأتي من يرش عليها بضع قطرات!! لكن مع الأسف لم تكن هناك أية إشارة إلى أن السماء

ستمطر، كما أن صاحب الحديقة يرقد في المستشفى جريحاً، ومن الواضح أنه لن يأتي من يرش

الحديقة، وقد كان صوت خرير الماء القادم من النهر يجعل الورود تشعر بالظماً أكثر وأكثر، وقد

أخذت جميعها تتمنى لو توقف عن الجريان؛ لأن صوت مياهه يشعرهن بالظماً والعجز والقهر.

علقت الوردة الصغيرة عينيها للحظة على زهرة دوار الشمس التي بدت كأنها لا تعاني شيئاً!!

فقد كانت تقف ثابتة نضرة، وكذلك شجرة اللوز لم تتأثر بالشمس ولا بالظماً، وكانت الطيور تقف

على أغصانها وتغرد في فرح، فقد كانت شجرة ذات جذع كبير ضخم، وجذور متشابكة ممتدة إلى أعماق بعيدة حيث المياه الباردة الجميلة!!

فقال متحسرة: يا لها من شجرة محظوظة!!

أصبحت الورد الصغيرة راضية عن قيودها، وعن الأحبال التي تكبلها، وكان كل تفكيرها في هذه اللحظات العصبية أن تتجو من الموت عطشاً، وكان لسان حالها يقول: آه لو تمر هذه المصيبة بسلام.

وبمجرد أن غادرت أشعة الشمس الحديقة، بدأت جميع الورود تشعر بالسعادة والراحة التي ازدادت بعد أن بدأت قطرات الندى البسيطة تسقط على أوراقها فأحست بالانتعاش والفرح، كانت هذه هي المرة الأولى التي تتمنى فيها الورود والأشجار أن لا يأتي الصباح، حتى ينعم بجمال الليل، ورقة قطرات الندى، ولأول مرة أيضاً كانت الورد الصغيرة تتمنى أن لا ترى قرص الشمس، لكن سنة الله في كونه لا تتغير ولا تتبدل إلا بإرادته، سبحانه؛ فقد أصبح الصباح، وسطعت الشمس، وبدأت أشعتها المحرقة تضرب أغصان الورود وأوراقها بكل قوة.

وعاشت الورود أياماً من المعاناة والألم، فغابت الخضروات عن الوعي، وسقطت ذابلة على الأرض، ففسد جزء كبير منها، وجف الجزء الآخر، وانفصلت أغصانها المتشابكة عن بعضها البعض بعد أن أصبحت ضعيفة ذابلة، أما شجرة الورد الصغيرة فقد فقدت معظم ورودها، وفقدت أوراقها نضارتها وحيويتها، ولم تتفتح فيها براعم جديدة، وأصبح كل غصن من أغصانها المعلقة في الحبال كأنه إنسان معلق في حبل المشنقة ينتظر الموت، أما الشجرة الكبيرة فقد جف غصن كامل من أغصانها، ووقفت تصارع الموت!!

وانتشرت حيوانات الحظيرة في الحديقة التي أصبحت خراباً، فزادتها خراباً على خرابها. وكانت شجرة الورد الكبيرة تُسرّي عن كل النباتات من حولها؛ فقد كانت أكبر الأشجار سنّاً، وقد مرت بمثل هذه التجارب من قبل، فكانت تأخذ بأيديهم، وتدعوهم إلى التمسك بالأمل دائماً، وذلك على الرغم من المعاناة الشديدة التي كانت تشعر بها، وأصبحت تفكر في نهايتها!!

وذاذات يوم رأت الأشجار والورود بعض السحب في السماء، فلما هبت الرياح ازدادت هذه السحب وارتفعت، وأصبحت فوق الحديقة تماماً، لكن الشمس بزغت بقوة، وشتتت تلك السحب في لحظة، ففقد الجميع الأمل ثانية، وأخذوا ينتظرون نهايتهم، كأنهم مرضى على فراش الموت.

لكن رحمة الله - تعالى - بتلك النباتات الضعيفة كانت واسعة؛ ففي عصر ذلك اليوم جاء صاحب المنزل في سيارة غريبة وجميلة، فنزل منها الرجل الذي انتظره الجميع طويلاً، فلما رآته شجرة

الورد الصغيرة ظنت أنها ترى سرايبًا، فقالت في نفسها: لقد بدأت أرى خيالات من شدة العطش!!
وبعد قليل تيقن كل من في الحديقة أن ما يروونه حقيقة وليس خيالًا فطاروا من الفرحة، وألقوا
بأفكارهم السيئة وراء ظهورهم.

كانت ذراع صاحب المنزل مربوطة، ومعلقة على كتفه، وكانت بشرته صفراء ولونه شاحبًا
جداً، وعندما دخل الرجل حديقته، ورأى ما آلت إليه من خراب ارتسمت على وجهه علامات
الحزن والألم، وقال لصاحبه متأثراً لقد أصبحت حديقتي خراباً!! فقال له صاحبه: لا تحزن هكذا،
المهم هو صحتك أنت، وإن شاء الله عندما تتعافى تتظمها وتهذبها من جديد.

كانت تلك الكلمات بمثابة السكين الذي قطع قلوب أشجار اللبلاب والورود، وجميع الأشجار
الأخرى، وبدعوا يفكرون في قلق هل سيتركهم صاحبهم هكذا حتى يموتوا؟! أم أنه بقلبه الطيب
سوف يتحمل على نفسه ويراعهم حتى ينقذهم من الموت؟! إن كل ما يرجونه بعض قطرات من
الماء تنقذ حياتهم!!

وانقلبت فرحة النباتات إلى ترقب وانتظار!! لكن الرجل بقلبه الطيب، قام وبمساعدة أصدقائه
بتنظيم التكميلية حتى جلسوا عليها، وبعد أن نالوا قسطاً بسيطاً من الراحة طلب الرجل من أحد
أصدقائه أن يحضر الخرطوم الموجود خلف المنزل، ويقوم برش بعض الماء على تلك النباتات
المسكينة، فقال الرجل باسمًا: على الرحب والسعة، لكن صاحب المنزل نبهه إلى أن الزرع جاف
جداً، وعليه أن يحذر أن يرش عليه الماء بغزارة فجأة؛ لأن ذلك سوف يؤذيه كثيراً.

وهنا دمعت عيون جميع النباتات من الفرح، بعد أن سمعوا صوت المياه آتية من بعيد، كم كان
صوتها جميلاً يطرب الأذان، وزادت فرحتهم بعد أن بدأت رائحة الماء الجميلة وهي تختلط
بالتراب تصل إلى أنوفهم، فبدأوا يشعرون برطوبة الماء ونداوة التربة بأنفسهم، وبدأت الجذور
ترشف الماء في فرح، ثم قامت بتوزيعه على الأغصان والأوراق فانتعشت وفرحت بعد أن أشرفت
على الهلاك، وقد شعرت أنها قد شربت إكسير الحياة، وبدأت تحس بأغصانها وأوراقها، وبدأت
الزهور والورود تنضج من جديد، وتنشر رائحتها الذكية في الأرجاء، عادت الحياة إلى الحديقة من
جديد!!

الفرح والقلق

لم يستطع صاحب المنزل أن يغمض عينيه في تلك الليلة، فقد ظل هو وصاحبه يعملون في إصلاح الحديقة، وتنظيفها من الأعشاب والأغصان الجافة، بعد ذلك دخلوا المنزل، وقاموا بترتيب ما أفسده اللصوص، وبعد منتصف الليل خرجوا إلى الحديقة ثانية، وقام الأصدقاء بإعداد الشاي، وقاموا بشربه في الحديقة، فقال صاحب المنزل لأصدقائه معبراً له عن شكره وامتنانه: لقد أتعبتكم معي الليلة كثيراً، فأنا ذراعي مربوطة، ومعلقة على كتفي، ولم أعمل شيئاً، وقمت بعمل كل شيء، فرد عليه صاحبه قائلاً:

نحن لم نفعل شيئاً يا صديقي، فهذا أقل ما نقدمه لك، ثم رشف رشفة من الكوب، وأكمل حديثه قائلاً: هذه هي الصداقة؛ فالصديق لا بد أن يظهر في كل وقت خاصة عند الضيق، أم أنك كنت تريد أن نحضر ابنتنا «وردة» إلى المنزل، وهو بهذه الحالة المزرية؟! لو كنا نملك الوقت والمال لجعلناه لك قصرًا صغيرًا يليق بك وبابنتك.

فرد عليه صاحب المنزل قائلاً: جزاك الله خيرًا يا صديقي، ونظر إليه نظرة حب واحترام، وتمنى له ولصاحبه الآخر كل السعادة والخير، ثم تأمل حاله للحظات وقال: لا أستطيع أبدًا أن أصدق كل ما حدث، فلولاك لكنت الآن أجلس مع ابنتي وأشرب الشاي؟! لا أدري من أين أتى هؤلاء الأشرار؟ ومن هم، ومن أين جاءتهم هذه المعلومات المغلوطة عن الثروة التي أملكها؟! ثم شعر أنه أثقل على صاحبيه فقال: لقد تأخر الوقت بنا، ألن نخلد إلى النوم؟! فقال له صاحبه: وأنت، ألن تنام أيضًا؟!

فرد عليه صاحب المنزل: لن أستطيع النوم في هذه الليلة. فأدخل صاحبيه إلى الداخل، ثم خرج وجلس أسفل التكبعية ليستريح قليلاً.

كانت شجرة الورد الصغيرة متعبة أيضًا؛ فقد بذلت مجهودًا مضمينًا في تلك الفترة العصيبة التي قضتها دون ماء، وفقدت كثيرًا من الطاقة، حتى أصبحت مثل كل ورود الحديقة بلا حول ولا قوة، وكان كل تفكيرها أن تنال قسطًا كبيرًا من الراحة حتى تستعيد قواها، أما الشجرة الكبيرة فقد كانت تستمع كعادتها باهتمام بالغ إلى الحوارات الجميلة التي تدور بين صاحب المنزل وأصحابه، لكنها في النهاية لم تقدر على مقاومة التعب فنامت.

وفجأة استيقظت الشجرة الصغيرة على صوت نباح الكلب، وكانت الوردة الصغيرة ما زالت متأثرة بتلك الأحداث المؤلمة التي مرت بها فكانت ترتعش من الخوف، وتقول: ترى ماذا سيحدث

ثانية؟ فحاولت الشجرة العجوز تهدئتها فقالت:

لا تخافي يا صغيرتي، لقد رحل الكلب بعد ذهاب الرجل إلى المستشفى ولم يأت إلا الآن، وهو ينبح من الفرح؛ لأنه علم أن صاحبه قد عاد سليماً معافى، وها هو يهرول نحوه، ويلقي بنفسه بين أحضانه وهو يهز ذيله بكل قوة، والرجل يمسح على رأسه وشعره، والكلب يئن وكأنه يبكي للقاء صاحبه الذي ظل يحنو عليه ويداعبه برفق ورحمة.

وبينما كان الرجل على وشك النوم من تأثير عبير نسيم الصباح الجميل إذا بأذان الفجر يؤذن، فأيقظ صاحب المنزل صديقيه، ثم عاد وحدث وردته الصغيرة قائلاً:

سوف نذهب الآن يا وردتي الجميلة، ولا تقلقي إن تأخرنا عليك، فسوف نحضر لك إن شاء الله «وردة» أخرى جميلة!!

سمعت شجرة الورد الصغيرة هذه الكلمات الرقيقة فتأثرت بها للغاية، وانتابتها عدة مشاعر مختلطة بين الفرح والحزن في الوقت نفسه؛ مشاعر الفرح لنجاة صاحب الحديقة، وعودته سالمًا إلى البيت، ولأنه سيحضر ابنته، ومشاعر الحزن خوفًا من أن يغيب صاحبهم عنهم، فيعانون مرارة الحر والعطش ثانية، هذا فضلاً عن أنها ما زالت تفكر جدياً في التخلص من تلك الأحبال والقيود التي تخنقها!!

أخرجت الشجرة الكبيرة غصناً من أغصانها من بين أخشاب النكعية، ولمست الشجرة الصغيرة، ثم سألتها قائلة:

أين سيذهب صاحبنا هذا الصباح؟

فردت الشجرة الصغيرة:

ألا تعلمين!! إنه سيذهب لإحضار ابنته «وردة».

تحيرت الشجرة الكبيرة عندما سمعت ذلك، وقالت:

«وردة»؟! ومن أين علمت أنت؟!!

فقالت: لقد قال لي صاحب المنزل.

فقالت الشجرة الكبيرة: ولماذا لم أسمع مثلك، فأنا أرقد بجوارك تماماً؟!!

فاهتزت الوردة الصغيرة من شدة الضحك، ثم قالت في نفسها:

تُرى هل بدأت الشجرة الكبيرة تنسى، أم أنها بدأت تخطط للأحداث ببعضها، لا سيما أنها عاشت

ليلة عصيبة بالأمس؟!!

أحست الشجرة الكبيرة أن الشجرة الصغيرة قد قالت في نفسها شيئاً، فقالت بصوت حزين:

إنك تعلمين، لكنك لا تريدين الإجابة عن سؤالي!! ولو أردت فسوف أقول لك أنا: كل ما في الأمر أنني أصبحت مسنة، ولم تعد أذناي تسمع جيدًا كما كان في الماضي، كما أن ذاكرتي أصبحت ضعيفة، ومن يدري هل سيأتي عليّ ربيع آخر أم لا؟! أثرت تلك الكلمات الحزينة التي قالتها شجرة الورد العجوز في شجرة اللبلاب الصغيرة، وشعرت بأنه يجب أن تسلي عنها فقالت: ماذا تقولين أيتها الشجرة الطيبة؟! سوف يطيل الله في عمرك إن شاء الله، وسوف تقضين معنا سنوات طويلة.

كانت الشجرة العجوز تعلم أن شجرة اللبلاب تُسري عنها، وكانت شجرة اللبلاب نفسها تعلم أنها تخفف مصيبتها، لهذا خجلت من نفسها، كما خجلت شجرتان كانتا تقفان بجوار الشجرة العجوز حتى احمرتا من شدة الخجل!!

الشقاوة

مر وقت طويل على خروج صاحب المنزل، وكانت الشمس تتحرك خلف كتلة من السحب التي تجمعت مع بعضها، فكانت تشرق تارة، وتختفي تارة أخرى، أما السحب فكانت تتفرق أحياناً وتتجمع أيضاً أخرى، وكانت كلما كبر حجمها تميل إلى اللون الرمادي الغامق.

وفي هذه اللحظة نادى وردة اللبلاب الرقيقة - بصوت خافت - شجرة الورد الصغيرة، ولأن وردة اللبلاب كانت قليلة الكلام جداً؛ لذلك فقد تحيرت شجرة الورد عندما سمعتها، وهي تقول: إن هذا اليوم يبدو غريباً جداً لي؟!!

فقالت شجرة الورد الصغيرة: ولماذا تحسبن بهذا الشعور؟! فقالت:

لا أعلم، ولكن يوجد بداخلي شعور غريب بأن مصيبة أخرى سوف تنزل علينا اليوم!!

فقالت شجرة الورد العجوز: ماذا قالت وردة اللبلاب، فلم أسمعها جيداً!!

فقالت الشجرة الصغيرة بصوت مرتفع: إنها تقول إن مصيبة كبيرة سوف تحل بنا اليوم.

فقالت الشجرة العجوز في دهشة: مصيبة!! ومن أين ستأتي؟!!

هل ستكون أيامنا كلها مصائب هكذا؟! لماذا هذا التشاؤم؟! ألا تستبشرون أبداً!! لنقل شجرة اللبلاب خيراً أو لتصمت!!

سمعت وردة اللبلاب كلام الشجرة العجوز فحجبت، ولفت نفسها بقوة على سيقانها، ولم تتكلم بعد ذلك بكلمة واحدة.

وبعد فترة قصيرة سمع الجميع صراخ طفل، فالتقت الجميع ناحية الصوت ماعدا زهرة دوار الشمس، فقالت وردة من ورود الحديقة: إنهم أطفال يلعبون، فقالت أخرى: دعونا منهم، هيا لننعم بالشمس، ونتركهم وشأنهم.

وما هي إلا لحظات حتى رأت الورود والأشجار ثلاثة أطفال يلعبون، وهم يتجهون نحو الحديقة وجوارهم كبشان كبيران، فلما وصلوا إلى جوار شجرة اللوز جلسوا جميعاً ليستريحوا من الجري، وبعد أن نالوا قسطاً من الراحة أخذوا يلعبون مرة أخرى، أما الكبشان فقد كانا يريان الحشاش إلى جوارهم.

وفجأة صاح أحد الأطفال: انظروا هذه شجرة لوز ممتلئة بالثمار!!

وعلى الفور ترك الأطفال اللعب، ونظروا في دهشة إلى الشجرة، وكانت الشجرة بالفعل تكتظ بثمارها، فأمسك أحدهم حجراً، وألقى به الشجرة فسقطت منها كومة من الأوراق النضرة، فقام

الطفلان الآخران بجمع الأحجار الكبيرة، وبدعوا يلقونها بقوة على أغصان الشجرة، فكانت الثمار تسقط بغزارة، والأطفال يتدافعون نحوها بعضهم فوق بعض من أجل جمع اللوز المتساقط، وبعد ضربة قوية من حجر كبير انكسر منها الغصن، وكأنها روحها تخرج منها، ولم يكتف الأطفال بذلك، بل قاموا بتسلق الشجرة، وبدعوا يضربون أغصانها بالعصي التي بأيديهم بكل قوة، فكانت الأوراق تتساقط من الشجرة بغزارة، والشجرة تبكي على ما أصابها، ثم قام طفل بالتعلق بغصن لين، ونزل به قرب الأرض، فأخذت الشجرة تتألم بعد أن كاد الغصن ينكسر، ثم نزل الولد على الأرض بعد أن أحدث في الشجرة جرحاً كبيراً!!

لم تتمكن شجرة الورد العجوز من رؤية ما حدث بعد أن ضعف نظرها، أما شجرة الورد الصغيرة، وشجرة اللبلاب، ودوار الشمس فقد رأوا بوضوح ما فعله الأطفال بشجرة اللوز، وكانوا يرتعشون من الخوف أن يقوم الأطفال بفعل الشيء نفسه معهم.

أكل الأطفال كل اللوز الذي وقع على الأرض، أما الكباشان فقد وجدا من أوراق الأغصان التي وقعت على الأرض غنيمة لهما فأخذا يلتهمانها في فرح، وبعد أن أخذ الأطفال متعتهم من ثمار اللوز اتجهوا صوب المنزل، وقام أحدهم بعبور السور الخشبي الصغير للحديقة من أحد الفتحات المكسورة فيه، وبمجرد أن دخل الحديقة نظر يميناً ويساراً، وأخذ يسترق السمع ليعرف: هل يوجد أحد في المنزل أم لا، فلما علم أن المنزل خال قام بقطع زهرة من زهور دوار الشمس، فأصبحت الشجرة المسكينة بلا رأس، ثم بدأ الأطفال يأكلون من لبها الذي لم ينضج بعد، فلما لم يستسيغوا طعمه ألقوا بالزهرة بعيداً.

كانت الوردة الصغيرة ترى كل هذا، فكانت تهتز بقوة من شدة الخوف، بينما كانت زهرة اللبلاب تقول بصوت مرتعش لكنه كان مفهوماً: ألم أقل لكم إنني أشعر أن هناك مصيبة سوف تنزل بنا!! كانت شجرة الورد العجوز تشعر أن شيئاً ما يحدث، لكنها لم تستطع أن تعرف ما هو بالضبط، وبدأت تحاول معرفة ما يدور، فلما رأت زهرة دوار الشمس تتأرجح يميناً ويساراً بلا رأس أدركت أن الوضع خطير فنادت من بجانبها قائلة:

ما الذي يجري هنا؟ هل يشرح لي أحدكم ما يدور هنا؟! ماذا حل على رءوسنا يا إخوتي؟

فقالت شجرة اللبلاب بصعوبة: نحن في خطر.

فقالت شجرة الورد العجوز: ممن؟

فقالت شجرة الورد الصغيرة: اخفضي صوتك ولا تتكلمي، ثم قالت لها بصوت منخفض جداً: إن هناك مجموعة من الأطفال قد أتوا إلى الحديقة بأغنامهم وعاثوا في الحديقة فساداً وتخريباً، ثم

قالت: ادعي الله أن لا يأتوا إلينا.

شعرت شجرة الورد بالخوف، وبرزت أشواكها، لكنها في الوقت نفسه دعت أن لا يشعر أحد أنها خائفة؛ فهي أكبر شجرة في الحديقة فكيف تخاف؟!!

لذلك فقد بدأت تُسدي النصيحة إلى من حولها بعدم الخوف قائلة:

انظروا يا إخوتي إنهم ليسوا هنا، فلماذا تخافون إذن؟! إنكم تكادون تموتون من الخوف ولم يمسسكم أحد!! إخوتي لا تلقوا بأنفسكم بين أحضان الخوف لمجرد أن هؤلاء الصبية قد قطعوا زهرة دوار الشمس، لقد أرادوا أن يأكلوا من لبها لذلك فعلوا فعلتهم.

فقاطعتها شجرة الورد الصغيرة قائلة: لكنهم ألقوا شجرة اللوز بالحجارة!! كما أنهم كسروا أغصانها!!

فردت الشجرة الكبيرة بتفاؤل: وليكن؛ فإن شجرة اللوز كانت مليئة بالثمار التي يحبها الأطفال، ونحن ليس بيننا أشجار فاكهة يحبها الأطفال، ولا أوراق نضرة تُغري أغنامهم، فلماذا إذن يأتون إلينا؟!!

وبعد فترة من الصمت والترقب قالت الشجرة الصغيرة بصوت من قُرب على فقد الأمل! لماذا يضر هؤلاء الأولاد كل ما حولهم، فنحن نفيدهم ونسعدهم، ونرضى أن يقطعوا ووردنا، ولكن بشرط ألا يلقونا بالحجارة، أو يقطعوا أغصاننا، ولا يطلقوا أغنامهم على أوراننا. فقالت الشجرة الكبيرة: إن الأغنام لا تأكل أوراق شجر الورد لأن أشواكنا تجرحهم، حينئذٍ التصقت الأشواك بالأغصان حتى تشعرها بوجودها، وكأنها تطمئننا، وتقول لها لا تخافي فنحن هنا إلى جوارك.

وقد أعطى كلام الشجرة العجوز بعض الأمل للشجرة الصغيرة، أما شجرة اللبلاب فقد ازداد خوفها إلى درجة كبيرة لأنها لا تملك أشواكًا مثل أشجار الورد.

وأخيرًا ابتعد الأطفال عن الحديقة ففرح كل من فيها، وانشرحت صدورهم، فقد تمنوا أن يرحل هؤلاء الأطفال، ولا يعودوا مرة أخرى، بعد أن انشغلوا عنهم باللعب، وأصبحوا يغيبون عن الأنظار تارة، ويظهرون تارة أخرى، لكن أصواتهم كانت مسموعة دائمًا، أما أغنامهم فقد انشغلت في قضم أوراق الأشجار في المراعي البعيدة عن الحديقة، لكن أحد الكباش سار نحو الحديقة رويدًا رويدًا حتى وصل إلى سورها، ثم تعقبه الآخرون، ثم حاول أحدهم أن يمر من فتحة صغيرة في السور، لكنها كانت صغيرة عليه فلم يتمكن من العبور منها، فظل يدفع نفسه لكي يمر لكن دون فائدة، ولو دفع نفسه بقوة أكثر لكسر السور تمامًا، لكنه سئم الأمر وترك السور ورحل ليبحث عن

مكان آخر ليدخل منه، حتى وجد مكاناً استطاع أن يتسلقه، وبين لحظة وأخرى أصبحت جميع الأغنام داخل الحديقة!

كانت الورود وخاصة وردة اللبلاب في حالة يرثى لها من الخوف، خاصة عندما اقترب أحد الكباش من شجرة الورد الكبيرة، وقضم ورقة أو ورقتين منها وبدأ يمضغها، لكنه عندما شعر أن طعمها لا يروقه تركها وانصرف، ثم حاولت الكباش أن تأكل من أوراق شجرة الورد لكن الشوك كان لهم بالمرصاد فابتعدوا، ثم اتجهوا نحو شجرة اللبلاب ذات الأغصان الغضة الرقيقة والأزهار البيضاء المتفتحة، فقطف الكباش الأول ورقة أو ورقتين من الأوراق القريبة، فلما وجد أن طعمها لذيذاً جداً أشار إلى الكباشين الآخرين فاقتربا من الشجرة المسكينة، وبدعوا يأكلون منها، ثم تجرأ أحد الكباش، وقضم قطعة كبيرة قريبة من جذع الشجرة فأخذت الشجرة المسكينة تتألم وتبكي، ثم اتجه الكباشان الآخران إلى أغصانها الرقيقة وبدأ يقضمان منها أمام أعين جميع أشجار الحديقة. وبدأت الكباش تشد الأغصان بقوة من الحبال المربوطة بها، فكانت المسامير الصداة تتساقط على الأرض، والكباش تمضغ الأوراق بين أسنانها الحادة بسرعة، وفجأة لم يعد هناك وجود لشجرة اللبلاب، التي كانت قبل قليل واقفة في مكانها يانعة خضراء جميلة، ولم يعد يرى منها سوى ورقة أو ورقتين وقفنا كأنهما رمز يدل على أنه كانت هناك شجرة لبلاب جميلة في هذا المكان من قبل!!

تألمت شجرة الورد العجوز، وشجرة الورد الصغيرة التي بدأت زهورها تتفتح، وكذلك جميع الورود والأشجار الموجودة في الحديقة على شجرة اللبلاب المسكينة، وما حدث لها، خاصة أنها أكلت أمام أعينهم ورقة ورقة، وهم لا يقدرّون على فعل شيء، لكنهم كانوا في الوقت نفسه يحمّدون الله على نجاتهم من هذا الخطر الكبير.

وعندما أدرك الأولاد أن الكباش قد غابت عن نظرهم خافوا عليها، ونادوا بأعلى صوتهم لكي تعود إليهم، وعندما جاء أحد الأولاد ليحضرها ضرب أحدهم ضربة قوية بعصاه، لكن الضربة لم تنزل عليه، ونزلت على زهرة دوار الشمس فقسمتها نصفين، فأصبحت الزهرة المسكينة بلا رأس كأختها، ورأت الشجرة الصغيرة ما حدث للزهرتين، ولشجرة اللبلاب فحزنت حزناً عميقاً، ودمعت عيناها دمعة حزينة، وقالت في نفسها: لا تدري نفس ماذا يحدث غداً!!

وبينما كانت الوردة الصغيرة تفكر فيما حدث، إذا بطفل من الأطفال يُلقى بحجر كبير من بعيد بكل قوة على الأغنام، لكن الحجر لم يصب الكباش، بل طار في الهواء حتى سُمع دويٌّ كبير، وصوت انكسار شيء!!

فقد أصاب الحجر زجاج النافذة فكسره، ووقعت قطعة كبيرة من الزجاج داخل المنزل، وأخذت قطعة كبيرة أخرى تتأرجح بين الداخل والخارج حتى سقطت في الحديقة، وكان سقوطها فوق شجرة الورد الصغيرة التي كانت تقف بجوار النافذة، فقطعت غصناً كبيراً منها، فوقع على الأرض بما يحمل من ورود، فتألمت الشجرة الصغيرة بشدة، تألمت لما حدث لها، وحدث لجميع أصدقائها، وقررت أن تنتقم لهم جميعاً من هؤلاء الأطفال وكباشهم، وتطلب مساعدة الرياح، فأخذت تناديهما بكل قوة، وبينما هي كذلك سمعتها الشجرة العجوز، فأدركت أن ما كانت تظنه تجاه الشجرة الصغيرة كان حقيقياً!!

وقالت في نفسها: لقد قابلت طوال حياتي المدينة أشجاراً صغيرة منهورة مثل تلك الشجرة، وها أنا ذي أقابل واحدة أخرى!!، ثم عادت وقالت في نفسها: لكن ربما سمعت خطأ!! لكن كيف أسمع خطأ، وقد تذكرت قولها الذي قالته لي من قبل، إنني لن أظل هنا حتى المساء!! وفي تلك الأثناء هروا الأطفال بالكباش بعيداً بعد هذا الخراب الكبير الذي أحدثوه بالمكان، وذلك قبل أن يراهم أحد، وإلا ستكون عاقبتهم وخيمة!!

كان الوقت لا يزال بعيداً على الغروب، لكن الشمس غابت تماماً خلف كتلة كبيرة من السحب، فبدت السماء كأنها وقت الغروب؛ وأصبح لونها رمادياً، وكانت هناك رياح خفيفة تداعب الأعشاب الخضراء المنتشرة على الأرض، والتي بدوت كسجادة خضراء، كما كانت تهز أوراق الأشجار فتصدر حفيفاً رقيقاً يطرب الأذان.

وكانت الشجرة العجوز تشعر بمتعة لا حدود لها عندما داعبت الرياح أغصانها، لكنها مع ذلك لم تخرج من عقلها، ولو للحظة واحدة أن الشجرة الصغيرة تتمنى أن تشتد الرياح أكثر وأكثر حتى تحقق رغبتها، وكانت الشجرة العجوز كلما فكرت في الأضرار الجسيمة التي قد تحدثها الرياح إذا اشتدت، كان قلبها يخفق بشدة، فقررت أن تتصح الشجرة الصغيرة ثانية، وقالت لها راجية: اسمعي يا صغيرتي.. لكن الشجرة الصغيرة مالت برأسها بعيداً، وكأنها لا تسمعها!! فكررت الشجرة الكبيرة نداءها قائلة:

اسمعي أينها الصغيرة.. هل تعلمين معنى العاصفة!! أرجو الله أن يحفظنا منها، إن العاصفة لو هبت سوف تجعلنا جميعاً كومة من خشب.. أتعلمين؟! إن ما قام به اللصوص، والأطفال لا يقارن أبداً بما ستفعله العاصفة، أتذكرين لقد حكيت لك قصة عن العاصفة قبل عدة أعوام، وكلما تذكرتها أشعر أن كل أوراقى تتحول إلى أشواك من شدة هولها!!

اسمعي أيتها الورد الصغيرة، إن العناد لن يجدي شيئاً، ويجب عليك أن تتخلي عن تلك الأفكار الجنونية التي تدور برأسك، وإلا ستندمين ندمًا شديدًا!!
أصبحت الشجرة الصغيرة كأنها قطعة من النار من شدة الغضب، وصاحت في ثورة قائلة: لقد سئمت من تلك القيود والأغلال، لم أعد أتحمل هذه الحبال!! لا أريد أن أموت مثل شجرة اللبلاب المسكينة!! لتلقيني الرياح بعيدًا عن تلك الأخشاب البغيضة التي أتعلق بها، وبعدها يحدث ما يحدث!!

وهنا لم تجد الشجرة العجوز بدءًا إلا أن ترفع صوتها وتقول:
أنتِ شجرة ناكرة للجميل؛ إن تلك الحبال والمسامير التي تكرهينها هي حياتك، وهي في غاية الأهمية لك، وليست كما تظنين، فبدونها لا تستطيع كل فسيلة صغيرة أن ترفع قامتها، ولوقعت في التراب والطين، ولداستها الأقدام، ولن تتفتح ولن تكون جميلة مثلك، وهذا ما ستعقله الرياح بك، سوف تكونين تحت الأقدام، وقد فعل بك ذلك صاحب المنزل لأنه رجل طيب يحافظ عليك وعلينا ويعتني بك وبنا!!

وعلى الرغم من أن شجرة الورد الكبيرة أخذت تُسدي نصائحها للشجرة الصغيرة إلا أنها كانت مصرة على قرارها، ولم تنتبه لنصائح الشجرة الكبيرة قط!!
وفجأة حملت الرياح ورقة من أوراق شجرة اللبلاب المسكينة، وألقت بها في حضن شجرة الورد العجوز، فحزنت الشجرة جدًّا، كما حزنت جميع أشجار الحديقة، حتى السماء حزنت هي الأخرى وبكت بعض القطرات من الدموع، فسقطت دمعة منها على ورقة من أوراق شجرة الورد فزاد حزنها، وانتهى الأمر بورقة شجرة اللبلاب المسكينة بين أحضان الشجرة العجوز، فأخذت تنن قائلة:

لقد كنت بذرة بيضاء صغيرة
ولم يدر بخلدي أن أتفتح في الشتاء
جعلت هذه الأبيات الحزينة كل من في الحديقة يبكي ويتألم، لكن ذلك زاد من غضب شجرة الورد الصغيرة، وعلى الرغم من أن حياتها لم تكن تشبه حياة شجرة اللبلاب، إلا أنها كانت تخشى أن تكون نهايتها مثلها، كانت تخشى أن تموت ذات يوم، وهي معلقة هكذا على هذا الحائط دون أن تحقق ما تريد!!

لم تنته ورقة اللبلاب من أغنياتها فأنشدت تقول:

الرياح الحمراء والرياح السوداء..

فأخذت الزهور والورود الموجودة في الحديقة تغني مع الورقة قائلة:
لقد كنت بذرة بيضاء صغيرة
ولم يدر بخلدي أن أتفتح في الشتاء
فحملت الرياح ورقة اللبلاب إلى مكان بعيد، فصمتت الورود والزهور، لكن الشجرة الصغيرة لم
تسكت، وأخذت تغني وتقول:
الرياح الحمراء والرياح السوداء
ثم نصبت عينيها إلى السماء، وقالت سأدعو الرياح.
كانت الشجرة الكبيرة في حالة خوف شديد لما قد يحدث، فلم تتوقف عن الدعاء إلى الله ألا يجعل
الرياح تستجيب للشجرة الصغيرة.. وفي النهاية توقفت الرياح ولم يحدث شيء.

العاصفة

كانت مشكلة الورد الصغيرة تتأزم كلما مر الوقت؛ فقد طلبت النجاة من قيود الأحبال والمسامير لكنها لم تتجح، فعاشت فترة من الضيق والقلق، وبدأت تنتحب بشدة، وفي تلك الأثناء بدأت الرياح تداعب أغصانها يميناً ويساراً، فلم تتحمل الورد الصغيرة مداعبتها وقالت بضيق وعصبية:

أيتها الأخت الطيبة إن رأسي تؤلمني، أألن تساعديني؟!

لم تتمكن الرياح من تمييز من يطلب المساعدة منها من بين الأشجار، فأخذت تبحث عن يكلمها، فإذا بالشجرة الصغيرة تكلمها بصوت مرتفع قائلة:

توقفي أيتها الرياح.. أنا من يحدثك، ألا تسمعينني؟ أريد أن تُسدي لي معروفاً..

سمعت الشجرة العجوز ما دار من حديث بين الشجرة الصغيرة والرياح فخفق قلبها بشدة، ودعت الله ألا توافق الرياح على طلبها، ثم عادت وقالت في نفسها: لكن الرياح ستنظر إلى المسألة على أنها معروف ونجدة لمحتاج، وأنها مسخرة من الله - تعالى - لمساعدة كل محتاج، فخشيت أن تستجيب لها.

كانت الرياح تجد متعة كبيرة في مساعدة الآخرين لذلك فقد قالت بسرعة للشجرة الصغيرة:

بالتأكيد أنا أحب فعل الخير، ولكن أين أنت، فأنا لا أراك؟!

فلما بحثت قليلاً، ودققت النظر وجدت الشجرة الصغيرة، فداعبت أغصانها وأوراقها برفق وحنان، فانتهزت الشجرة الفرصة، وقالت لها: إنني أريد أن أتخلص من تلك الأحبال التي تقيدني، أريد أن أكون حرة مثل الشمس.

ففكرت الرياح قليلاً في كلام الورد الصغيرة، فلم تجد هذا الاقتراح منطقياً فقالت: في الحقيقة أنا حائرة، بل ومندهشة من طلبك؟! ألا تعلمين أن هذه الأحبال هي التي ساعدتك في الوقوف على ساقيك؟ أليست هي التي ساعدتك حتى نمت كل هذه الورود على ساقيك وتفتحت؟ ألم يكن لها أي فائدة في حياتك؟!

وكانت الرياح تهدف من هذا الكلام إلى أن تجعل الورد الصغيرة تعزف عن أفكارها، فلما انتبهت شجرة الورد الكبيرة لكلام الرياح، قالت والفرحة تغمرها:

ألم أقل لك هذا الكلام نفسه أيتها الشجرة الصغيرة التي لا تعرف مصلحتها؟!

فقالت الشجرة الصغيرة للشجرة الكبيرة غاضبة:

لو سمحت أيتها الشجرة لا تتدخل في هذا الأمر، فأنا أعلم ما أفعله جيداً. حزنت الشجرة الكبيرة من كلامها فسكتت، فاتجهت الشجرة الصغيرة إلى الرياح مرة أخرى، وقالت لها:
أيتها الرياح هيا.. هيا أنقذيني من تلك الأغلال، ولا تتحدثي مع أحد.. فأنا أعرف مصلحتي، وأنا أفضل وأكبر بدون حبال أو مسامير، ويمكنني أن أفف إلى جوار الحائط بدونها، وربما هاجرت إلى وطن آخر، فأنتم لا تعرفون ما سأقوم به.

كانت الرياح متشككة في كل ما تقوله الشجرة الصغيرة، فلم تكن تصدق أن هذه الوردة الصغيرة تستطيع أن تعيش بمفردها في مكان آخر، أو أنها تستطيع أن تتحمل المصاعب التي قد تواجهها في هذا المكان!!

فماذا ستفعل هذه الضعيفة مع العواصف والمطر والطين!؟

فأخذت تشرح للشجرة الصغيرة بهدوء ما يمكن أن تواجهه بمفردها، إلا أن الوردة الصغيرة لم يكن لديها أي نية لسماع نصائحها، وأخذت تقول في عناد غريب: ماذا بك أيتها الرياح؟! إن كل ما أطلبه منك هو أن تقومي بفك وثاقي، وحل مساميري، وأخذت تحاول إقناع الرياح بأنها ليست ممن يرضون بحياة الأسر، وأنها إن لم تجد المساعدة منها فسوف تجدها من غيرها، وأخذت تتوسل إلى الرياح وهي تبكي وتتألم، لدرجة أن الرياح لم تتحمل توسلاتها، وفي النهاية قالت الرياح لها:
أيتها الصغيرة.. أنت أعلم بحالك، ولكن لتعلمي أنني لم أوافقك إلا لأنك ظلمت تتوسلين إليّ، وأنا لم أتحمّل هذه التوسلات، ولا بد أن تعلمي أن ما ستفعلينه خطأ كبير، وأنت يوماً ما ستندمين على فعلتك، وأنت تنتظرين المساعدة مني ولن أخذك أبداً، ولكنني في الوقت نفسه أتمنى أن لا يحدث لك مكروه.

سمعت الشجرة الكبيرة كلام الرياح فصاحت قائلة:

أرجوك لا تفعلي أيتها الرياح.. أرجوك.. هل تطاوعين وردة صغيرة لا تعقل ما تقول، يجب عليك ألا تستمعي إلى توسلاتها..

وفجأة عصفت الريح بقوة، فاهترت التكعيبة هزة مخيفة فصمتت الشجرة الكبيرة، وصمت كل من في الحديقة، كانت الرياح تصطدم بحوائط المنزل وبسور الحديقة، وكان صوتها يعلو شيئاً فشيئاً، وكانت كلمت هبت الرياح تزداد كتل السحب، وكان باب الحديقة الخشبي يُفتح ويُغلق بقوة، بينما أحنّت زهرة دوار الشمس رأسها إلى الأرض لتحمي نفسها من شدة الرياح، وفجأة سقطت قطعة الزجاج المعلقة في النافذة التي كسرها الأطفال، فدخلت الرياح إلى المنزل بقوة، فبدأت تُسمع أصوات من الداخل لأشياء تتساقط، وربما تتكسر!! وكانت شجرة اللوز تتمايل هي الأخرى بقوة،

وكانت تُسمع أصوات انكسار لبعض أغصانها، وأحياناً كانت أغصانها تميل بكل قوة فتكاد تلمس الأرض، ثم تعود مكانها مرة أخرى.

وبعد لحظات لم يبق في شجرة الورد الجميلة الموجودة أمام الباب وردة واحدة، فقد امتلأت السماء بأوراقها المتطايرة هنا وهناك، وبينما كانت الشجرة المسكينة تنظر إلى أبنائها وهم يتطايرون على غير هدى، تذكرت أغنية الوردة الصفراء، ثم ماتت بعد ذلك، بعد أن عجزت عن مقاومة الرياح العاتية!!

وبانت الرياح لا تستطيع التحكم في نفسها، فبينما بدأ الأمر معها مجرد مساعدة وردة صغيرة تريد التخلص من قيودها، إلا أنه انتهى بموت وفقد الكثير من النباتات والأشياء!!

وعلا صراخ كل من في الحديقة، لكن الصوت الوحيد المسموع صوت الرياح فقط!! وكانت الشجرة الصغيرة تضحك من قلبها عندما بدأت الريح تهب، لكن مع اشتدادها بدأت تفقد توازنها، وأدركت أن الأمر جد خطير، وليس كما ظنت أنه مجرد تخلص من الحبال والمسامير!! كانت شجرة الورد الكبيرة قصيرة القامة؛ لذلك لم يصبها أذى بقدر ما أصاب النباتات الأخرى، وبالرغم من أنها قد اهتزت بقوة، إلا أنها كانت في منعة وحماية بسبب الحائط الخلفي للمنزل الذي كانت تستند إليه. إلا أنها أصيبت بالبرد بسبب كبر سنها، لكنها لم تفقد الأمل في النجاة..

وبعد هذه العاصفة الشديدة انحل مسمار واحد فقط من المسامير التي تُقيد الشجرة الصغيرة، لكن بقية المسامير لم تتحل على الرغم من قوة العاصفة، وأصبحت الشجرة الصغيرة تخشى على نفسها من هذا الوضع الجديد، وبدأت تشعر بالندم لأنها لم تسمع كلام الرياح، وكانت تريد أن تقول للرياح كفي.. ولا تهبي أكثر من ذلك، لكن غرورها الذي لا معنى له قد منعها من أن تفعل ذلك، وقررت في نفسها ألا تظهر علامات الندم والحسرة، وقالت: ربما لو اشتدت الريح قليلاً انحلت جميع المسامير، فنتشجعت وأخذت تقول بصوت فيه خوف ورجاء في الوقت نفسه: أقوى.. اشتدي يا ريح أقوى من ذلك!!

زادت الريح من قوتها حتى إن أحد حوائط السور قد انخلع من مكانه، وسقط على مجموعة من الأزهار فسحقها تماماً، وازدادت عدد الأوراق المتطايرة، والأغصان المنكسرة، وانكسر غصن كبير من الشجرة العجوز، فقالت الشجرة في حزن: آه لو أن صاحب المنزل هنا، فهو الوحيد القادر على منع هذه الشجرة الصغيرة.

ولم تترك الرياح الشجرة الصغيرة دون أن تصيبها بشيء فقد أسقطت جميع ورودها، فحزنت الشجرة جداً، إلا أنها أخذت تُنسى نفسها ما حدث قائلة. ليكن هذا، فسوف تتفتح زهور غيرها بعد

ذلك إن شاء الله.

كما طارت بعض قطع القرميد التي تزين سطح المنزل، وسقطت على الأرض، وقد أحدثت قوالب القرميد صوتًا مدويًا عند ارتطامها بالأرض، أما الكلب فقد قطع الحبل المربوط به، وأخذ يجري حول المنزل، وهو ينبج ويئن، ويبدو أنه قد نال هو الآخر نصيبه من الرياح، حتى الشجرة المعلقة على التكعيبية سقطت بعض أفرعها من التكعيبية فأصبح هذا المكان خاليًا، كما سقطت إحدى جوانب التكعيبية على السور فهدمته.

وفي النهاية بدأت الرياح تحل بقية المسامير التي تحمل شجرة الورد الصغيرة، فتمددت الشجرة على الأرض منهكة القوى تمامًا، وهدأت الرياح بعد أن نفذت مهمتها، لكن بدأت كتل السحب تتجمع في السماء، ثم أمطرت مطرًا غزيرًا، فأفاقت الشجرة الصغيرة على قطرات المطر التي انهمرت فوقها بشدة، لكنها لم تعرف أين هي؟! وما الذي جعلها ترقد هكذا في التراب المبلل بالماء؟!!

فحاولت أن تعرف إلا أنها لم تستطع أن ترى شبرًا واحدًا خلفها!! وبعد فترة قصيرة تذكرت ما حدث، فلما أدركت أنها أصبحت بلا قيود طارت من الفرحة.

لكن هذه الفرحة لم تستمر طويلًا؛ فقد وجدت نفسها وحيدة وسط كومة من المياه، وأوراقها قد تناثرت بعيدًا، وانجرفت مع المياه، واتسخت أغصانها بالطين فحزنت بشدة، فلما نظرت حولها ازداد قلقها، وذلك بعد أن وجدت معظم ورود الحديقة قد ماتت، وأن الشجرة العجوز قد جُرحت، والمنزل تهدم فيه الكثير من الأماكن، فبدأت تشعر بعذاب الضمير، ولم تستطع أن تخرج صوتها من شدة الخجل، فدفنت رأسها في الطين، وبدأت تبكي بحرقة وألم.

وبينما كانت جميع الكائنات من حولها فرحة بالمطر الذي يعني لها النضارة والحياة، كانت هي تزداد غوصًا في الطين، وعلى الرغم من أنها لم تسقط على الأرض إلا منذ فترة قصيرة إلا أنها بدأت تشتاق إلى حياتها القديمة، تشتاق إلى الحبال والمسامير التي كانت تكرهها كثيرًا، والتي لم تعرف قيمتها إلا في هذه اللحظة!!

ومع حلول المساء هدأ المطر، كانت الشجرة الصغيرة ترتعش من شدة البرد، وقالت في نفسها: أغلب الظن أنني سأجمد الآن وأموت!!

وقالت في نفسها: لو أتحمل كل هذا التعب والألم حتى يأتي صاحب المنزل فربما يراني وينتشلني من هذا الوحل، ويربطني على الحائط مرة أخرى، آه.. ليتني ظللت كما كنت، ولم أتصرف بهذا الشكل المتهور!!!

وبعد فترة ظهرت الريح مرة أخرى، وسألت الوردة قائلة:

كيف حالك الآن؟ هل أنت سعيدة؟!

ولا شك أن شجرة الورد الصغيرة لم تكن سعيدة بهذا الوضع الجديد، لكنها لم تستطع أن تقول هذا للرياح، فقد شعرت الوردة أنها إذا ما قالت للريح بأنها تشعر بالندم بعد هذا التوسل والرجاء سيكون عيباً في حقها، لهذا قالت في كبر:

لا أعلم!! لكنني أصبحت الآن حرة، ويجب أن يمر بعض الوقت لأعرف الفرق.

لكن الرياح لم تكن تصدق كلام الوردة أبداً؛ فقد كانت تعلم أنها نادمة جداً على فعلتها، وأوضحت لها ذلك، فندمت الوردة، وقالت وهي تبكي في حرقه:

أرجوك ساعديني.. احمليني ثانية إلى مكاني القديم أرجوك!!

فقالت الرياح: أسفة، إن قوتي لا تكفي لفعل ذلك الآن، ولا بد أن تفهمي أن لكل شيء خصائصه وقدراته ووظائفه التي أعطاهها له الله - تعالى - ثم بدأت تبتعد عنها رويداً رويداً دون إزعاج أو صوت.

الندم الكبير

ندمت الوردية على حالها، وقالت في حزن: ليس أمامي إلا أن أنتظر حتى الصباح فربما سطعت الشمس، وجفت الأرض، وانصلح الحال أحسن مما هو عليه الآن، وسوف أمتص هذه المياه التي على عروقي، وبذلك أجف وأتعافى.

كانت شجرة الورد الصغيرة تفكر في تلك المشكلات التي تحيط بها. ولم يكن أمامها سوى أن تُصبر نفسها بتلك الكلمات؛ لأنها تعلم أن كل تلك المحاولات التي تفكر فيها غير كافية لإنقاذها؛ فقد عم الظلام المكان، وأصبحت الوردية لا ترى شيئاً، كانت ليلة مظلمة لم تر الوردية الصغيرة مثلها من قبل، وكان كلما مر الوقت عليها كانت تشعر بالوحدة والخوف أكثر وأكثر، فأخذت تنتحب وتقول في مرارة: إنني أموت.. هذا هو الموت الذي يقولون عنه!!

وبدأت تفكر في زهور دوار الشمس التي ماتت أمامها، وشجرة اللبلاب التي أكلها الأغنام، وتقول في حزن وندم: لكن كل تلك الأشجار ماتت بسرعة دون أن تتألم، أما أنا فأموت ببطء.. أموت بين الظلام والوحدة والبرد!!

وفي النهاية تعبت الوردية من البكاء، وتذكرت نصائح الشجرة العجوز بأهمية التحلي بالصبر، وقالت في نفسها: أه.. ليتني سمعت كلامها لقد أثبتت أنها شجرة ذات خبرة طويلة.. كما كان هذا الأمر جنوناً مني!!

أه.. لقد شعرت بالندم الآن!! لكن بماذا يفيد الندم لقد انطلق السهم ولن يعود إلى جرابه مرة أخرى!! لن تعود كلمات قد قيلت، ولن يعود عمر قد فات!! نعم لقد قالتها الشجرة العجوز من قبل.. كم كانت على حق!!

لكنني سوف أعمل بنصيحتها الآن فقد أنجو من مصيبتى تلك، لا بد أن أتلى بالصبر، وربما أجد من يعينني، ويعيدني إلى مكاني القديم بإذن الله ورحمته ولطفه.

ورفعت الوردية المسكينة عينيها التي احمرت من شدة البكاء إلى السماء، ودعت ربها قائلة: إلهي.. ألهمني الصبر والتحلي به.. إلهي أعني على ما أنا فيه.. كن معي يا ربي.

أراح هذا الدعاء قلب الوردية المكسوم، وبدأت تفكر بشكل أفضل، وتُقيم وضعها بصورة أحسن، فأدركت أن سبيل النجاة الوحيد لها هو عودة صاحب المنزل، ولا بد أن تتلى بالصبر، وتتحمل هذا البرد والطين، حتى يعود صاحب المنزل ويراها، فسوف يساعدها بالتأكيد، وبدأت الوردية تشجع نفسها قائلة:

اهدئي أيتها الوردية، ولا تتهوري ثانية، ولا بد أن تقاومي التعب وإلا ستموتين.. آه أيتها الوردية
المنهورة هل رأيت نتيجة فعلتك الحمقاء!!

وبينما كانت تلقن نفسها درسًا في الصبر، سمعت صوتًا يأتي من الظلام، فلما أدركت أن هذا
الصوت هو صوت الشجرة العجوز اطمأنت قليلاً.

كم كانت الشجرة الكبيرة طيبة القلب!! فعلى الرغم من المعاملة السيئة التي عاملتها بها الوردية
الصغيرة إلا أنها ما زالت تحاول مساعدتها، وتحاول إظهار الطريق لها حتى لا تموت، ونسيت
تمامًا أنها كانت سببًا في جرحها، لكن ترى لو أن الشجرة الصغيرة كانت في مكانها هل كانت
ستتصرف معها هكذا؟! هل كانت ستكُن لها المشاعر نفسها أم أنها كانت ستنتمى لها الموت لأنها
كانت سبب مصيبتها؟

لقد تأثرت الشجرة الصغيرة جدًا بتصرف الشجرة العجوز، واستغربت لوجود من يحبون فعل
الخير بهذا الشكل حتى هذا الوقت على ظهر هذه الدنيا!! لكن في مقابل هذا الخير المتمثل في
الشجرة العجوز يوجد من يحبون أنفسهم فقط، ولا يفكرون في غيرهم، ولا يتحلون بالعلم، وهؤلاء
كثيرون.. وكما كانت الشجرة الصغيرة تتفكر في هذه الأشياء كانت تزداد ندمًا وحرزًا، وكانت
تقول في نفسها:

آه.. لو أنجو من هذا العذاب، وأنهض على قدمي مرة أخرى.. لن أكرر هذه الأفعال مرة أخرى..
آه لو أنهض مرة واحدة!! آه لو أستطيع أن أنهض ولو لمرة واحدة!!

فقال لها الشجرة العجوز: تحلمي واصبري.

فقال الشجرة الصغيرة في شجاعة: سأتحمل إن شاء الله.

كانت الوردية الصغيرة قد تسلّحت بالإيمان فقويت عزيمتها وزاد أملها، وبدأت تشعر أن البرد لم
يعد يؤثر فيها بدرجة كبيرة، حتى جروحها أصبحت تؤلمها بصورة خفيفة، وبمجرد سماعها
لصوت الشجرة الحنون بث في نفسها الأمل، وأنقذها من الغرق في الوحل، تذكرت الوردية
الصغيرة في تلك الأثناء صاحب المنزل وهو يقول لصديقه تحت التكعيبية في إحدى الليالي: إن
التشاؤم مستنقع، إذا سقطت فيه غرقت، كما تذكرت قول الشاعر:

إن من عاشوا.. عاشوا بفضل عزيمتهم وأملهم، وأبكو الذين فقدوا الأمل في الله.

لقد كان تذكر كل تلك الحكم والمواعظ يعطي الشجرة الصغيرة القوة والصبر على تحمل
صعابها، وكانت الوردية قد سمعت تلك الأقاويل من قبل، لكنها لم تستطع أن تفهم معناها إلا في هذه
اللحظة، فقالت في نفسها: آه من قبح الجهل، وسوء الفهم!!

وبدأت الوردة الصغيرة تحدث نفسها قائلة: اصبري.. اصبري وتحلمي سيأتي الفرج من عند الله عن قريب.. قريب جداً، وبينما كانت تعيش تلك المشاعر القوية، كانت تراقب الطريق؛ لأنها كانت تنتظر صاحب المنزل على أحر من الجمر، وكانت ترجو الله أن يصل بين لحظة وأخرى.

مر الوقت ثقيلًا، ولم تعرف الوردة الصغيرة كم مر عليها، وهي ممددة على الأرض بين الأحوال، وفجأة استيقظت على صوت عالٍ لم تسمعه من قبل، فقد كانت معلقة على الحائط، وغير معتادة على سماع هذه الأصوات، أما الآن فهي ممددة على الأرض وأذنها ملتصقة بها، فأصابها الخوف والهلع، لكن الشجرة الكبيرة هدأت من روعها، وقالت لها: اهدئي يا صغيرتي كل ما في الأمر أن عربة قادمة ناحيتنا، دهشت الوردة الصغيرة، فلم تكن تعرف أن هذه العربة تحدث هذا الصوت المرعب!! كما أنها لم تكن تعرف فائدة تلك العربة!!

وفجأة وفي هذا الظلام الدامس ظهر ضوء شديد مصاحب للصوت، كان الضوء والصوت يقتربان رويدًا رويدًا، وفي النهاية توقفت العربة أمام باب المنزل، كان ضوءها الشديد قد جعل المكان أمام باب المنزل كأنه وضح النهار، وفجأة توقف صوت العربة، وبدأت الوردة تسمع صوت بعض الأشخاص، واستطاعت أن تميز من بينهم صوت صاحب المنزل، فبدأ قلبها يخفق بشدة، وصاحت قائلة:

لقد تقبل الله دعائي، الحمد لله.. الحمد لله..

كانت الوردة فرحة؛ لأن صاحب المنزل سوف ينقذها من الموت بمجرد أن ينزل من العربة ويدوس في الطين ويراهها فسوف يحملها على الفور ويعلقها على الحائط مرة أخرى.

وقالت: كم أتوق إلى الحائط، لقد كان عاليًا، وكنت أرتكن إليه في أمان واطمئنان، كنت أرتكن إليه ولا أخشى شيئًا، حتى صوت العربة كان صوتًا عاديًا لا أخاف منه، ولكن عندما نزلت إلى الأرض أصبح صوتًا مخيفًا، وكنت أرى كل شيء من فوق، وبالتالي كان يُرى أحسن وأجمل.

نزلت من السيارة فتاة شابة، وقام صاحب المنزل بإخراج حقيبة من السيارة، ثم حملها على ظهره، وأدخلها الحديقة بسرعة، ثم دخلت الفتاة إلى الحديقة وهي مضطربة متوجسة، ومرت بجوار الوردة، ثم دخلت إلى المنزل.

نظرت الوردة الصغيرة من أسفل إلى الفتاة فوجدتها شاحبة اللون، ذابلة العينين، لكنها لم تنتبه إلى الوردة الصغيرة الملقاة على الأرض، فقالت في نفسها: لا بد أن صاحب المنزل سوف ينتبه لي ولما حدث في الحديقة، لكنه لم يفعل ذلك قط!!

وبعد فترة قصيرة للغاية خرج الرجل من المنزل، فقالت الوردة: الحمد لله الآن سيراني، لكن الرجل كان مضطرباً إلى درجة لا يستطيع معها رؤية أي شيء، لاسيما أنه مر من فوق بعض أوراق الأشجار الملقاة على الأرض، وخرج إلى السيارة، وأخرج منها بعض الحقائق الصغيرة، ثم أدخلها إلى المنزل، بعد ذلك دارت السيارة، وأضاءت نورها، ثم سارت بعيداً حيث غابت في جنح الظلام الدامس.

ولم يكن بادياً من المنزل سوى ضوء مصباح ضعيف كان ضوءه يرتعش بين حين وآخر، ولكن بعد فترة لم يعد لهذا الضوء وجود، فقد وضع الرجل بطانية ومخدة مكان الزجاج المكسور. فأصبحت الوردة الصغيرة وحيدة من جديد، وهذا يعني أن فرحتها قد ضاعت هباءً منثوراً، وأن أمالها لم يعد لها سبيل لكي تتحقق، وقد جعل عدم انتباه صاحبها الذي انتظرت به فارغ الصبر آلامها تتضاعف أكثر وأكثر، وبدأت الوردة تبكي بحرقة وتقول في ألم: لقد انتهى كل شيء، ولم يعد لي أمل في النجاة.

وفجأة هبت الرياح من جديد، وتذكرت الوردة أنها طلبت منها المساعدة منذ قليل، وأن الرياح نصحتها بعدم خوض هذه التجربة المريرة ثانية لكن لم يكن هناك حيلة لديها، فقد يتعلق الغريق بقشة لكي ينجو بنفسه، فعادت وطلبت من الريح مساعدتها، على الرغم من أنها كانت تكره ذلك لعزة نفسها، فقالت لها الرياح:

ألم أنصحك من قبل؟ أليست مشاعر الخوف من الموت غريبة ومؤلمة؟ هل صدقت الآن أن المسامير والحبال التي كنت تعتقدين أنها بمثابة الأغلال كانت أفضل صديق، وأحسن معين، فهل صدقت كلامي الآن؟!

فقالت الوردة الصغيرة وهي تبكي: لكنني كنت أريد الحرية، وهذا ليس عيباً، فهل خلقت من أجل أن أعيش أسيرة لهذه القيود؟ فأنت أيتها الرياح مثلاً حرة طليقة تذهبين إلى أي مكان كما تحبين، ولو كنت معلقة على حائط مثلي لما قلت ذلك.

فقالت لها الريح بصوت حنون:

إن طلب الحرية ليس عيباً، لكن هل تعرفين معنى الحرية الحقيقي؟ إن كل المخلوقات في الكون تحتاج إلى بعض الأشياء من أجل استمرار حياتها، وبهذه الأشياء تقوى وتعيش، وليس معنى فقد بعض الأشياء، أنك فقدت الحرية، أو أنك أصبحت أسيرة، أو غير موجودة، كما يجب أن نطلب الحرية بشكل لا يهدم حرية الآخرين أو حياتهم، يجب أن لا نكون أنانيين عند طلب الحرية، وهذا

ما فعلته أنت أيتها الوردة الصغيرة، فقد كنت تبحثين عن الحرية، وفي الوقت نفسه كنت سبباً في موت أصدقائك، وجعلت مني آلة لذلك، يا ليتك لم تطلبي مني مساعدتك؟

انتظرت الرياح برهة لعل الوردة ترد، لكنها كانت صامتة كأنها هرة قد سكب لبنها، ولم تكن تعرف ماذا تقول، فأكملت الرياح كلامها قائلة: لقد فكرت في نفسك فقط، ولم تفكري في حقوق الآخرين، ليس ذلك فحسب، بل إنك لم تستطعي أن تفكري في مصلحتك!! لقد فكرت كطائر صغير، لا يعرف يمينه من يساره، ولا يستطيع أن يطير بجناحيه، وذهب ليبحث عن الحرية، فترك عشه وأمه ورحل، فكيف سيعيش هذا الصغير ويواجه هذه الحياة الخطيرة؟ وإلى أي مدى سيتحمل مصاعبها؟!

واستمرت الرياح في حديثها طويلاً، فقد كانت ذات خبرة طويلة، ورحلت إلى أماكن كثيرة، ورأت الكثير من الأشياء، وذهبت إلى القرى والمدن والجبال والمنحدرات، وكل مكان يمكن أن يتخيله عقل، وشرحت لوردة الصغيرة أننا في هذه الدنيا لا بد أن نحتاج إلى العديد من الأشياء لكي نعيش وتستمر حياتنا، نحتاج إلى الشمس، والرياح، والتراب، والمطر، والماء، والهواء، ونحتاج إلى الجبال، والمسامير، والأحجار، وحضن الأم، ونحتاج إلى هذا وذاك...

حاولت الرياح أن توضح للوردة الصغيرة حاجاتنا دائماً إلى الأشياء من حولنا، وأهمية ذلك لاستمرار حياتنا، لكن على الرغم من كل ذلك فقد ردت الوردة الصغيرة على الرياح بقولها:
لكن الشمس تتحرك بدون حبال أو مسامير.

فغضبت الرياح من قولها، وقالت:

هل تظنين أيتها الصغيرة أن الشمس تعيش هكذا بلا وظيفة أو عمل، وتسبح في الفضاء على غير هدى؟!

لا.. لا إن للشمس وظيفة كبيرة وعظيمة جداً في هذا الكون، بل إن كل ما في الكون مرتبط بها حتى أنا، وجميع الكواكب مرتبطة بها وتدور حولها، ولا تنفك عنها أبداً، وهي تشرق في موعد وتغيب في موعد، ولا يمكن أن تخالف ذلك أبداً، فهل رأيت الشمس تشرق في المساء مرة؟! أو رأيتها تشرق من المغرب أو تغرب من المشرق؟! إن هذا لم يحدث أبداً!!

وماذا تقولين أيتها الصغيرة لو حدث اختلاف ولو بسيط في النظام الشمسي؟ هل تعرفين ماذا سيحدث؟ أنا أقول لك: سوف تنتهي الدنيا، بل سينتهي العالم بأكمله وتقوم القيامة!!
فقال الوردة الصغيرة أسفة:

الآن أدركت كل ما تقولينه، وقد نصحتني الشجرة العجوز كثيرًا بمثل هذا الكلام، وقد أدركت الآن كم كنت جاهلة!!

وهل تظنين أنني لو كنت أعلم، هل كنت سأقوم بمثل هذه الأخطاء؟! ومن الآن فصاعدًا سوف أعمل على عدم تكرار مثل هذه الأخطاء ثانية، وهذا وعد مني، ولكن إن لم تساعدني الآن فسوف أموت، يجب عليك أن تتقيني من هذا المستقع!!

فردت الرياح عليها بحزن قائلة:

للأسف الشديد لا أستطيع أن أساعدك، وقد أخبرتك من قبل أن لكل مخلوق في هذه الحياة قدرات معينة لا يستطيع أن يحيد عنها، فهل تظنين أنني صاحبة قوة خارقة؟! إن الله - سبحانه وتعالى - أعطى كل مخلوق قوته على قدر كفايته، وأنا لا أستطيع أن أمنح نفسي قوة لم يمنحني الله إياها، فأنا أهبُّ بقوة فأخلع وأهدم وأطير وأسقط، لكن لا أستطيع أن أصلح أو أغرس أو أبني فهذا ليس من قدراتي.

حينئذٍ انطفأ آخر أمل للوردة الصغيرة، وعلى الرغم من أنها كانت على وشك الموت إلا أنها شكرت الرياح على تلك النصائح المهمة والمعلومات القيمة، وبدأت تنتظر انتهاء أجلها، وقطع جذورها!! كانت الرياح متأثرة جدًا من وضع الوردة، وقررت ألا تتركها بمفردها وترحل، وأخذت تفكر في طريقة لإنقاذها، فقالت لها:

لا تفقدي الأمل فإنهم يقولون: هناك أمل مادام هناك روح، وربما نجد وسيلة.

وأخذت الرياح تفكر في وسيلة لإنقاذها فهبت إلى أعلى، ونزلت إلى أسفل، وفي النهاية فكرت في طريقة، وقالت:

عندي فكرة، وسوف أجربها، وربما كانت التجربة مجدية ومفيدة فسوف أهبُّ بقوة، وربما استطعت أن أوقظ صاحب المنزل، وبدأت الرياح تهب بقوة لدرجة أنها كانت ستقتلع سقف المنزل لولا عناية الله، فطار في الهواء حجرًا أو اثنتان من أحجار القرميد التي تغطي السقف، كما سقطت على الأرض الأخشاب التي وضعها الرجل لتسند البطانية التي وضعها على النافذة المكسورة، فلما سقطت أحدثت دويًا هائلًا، ففزع الكلب إلى الباب، وأخذ ينبح بكل قوة، فاستيقظ صاحب المنزل، وحمل الفانوس، وخرج فرأى الوردة ملقاة على الأرض، فدخل إلى المنزل بسرعة، وأحضر مطرقة ومسامير وحبلاً، وقام بربط الشجرة على الحائط من عدة أماكن، ولم تنتبه الوردة إلى أن الرجل قد رآها وعلقها لأنها كانت قد فقدت الوعي من شدة هبوب الرياح، لا سيما أنها قد تعرضت

لهبوب ممائل منذ فترة قصيرة فأصبحت في حالة لا تقوى معها على تحمل أي رياح أخرى فغابت
عن الوعي تمامًا وفقدت أي إحساس بما يدور حولها!!

الطائر الحزين

استيقظت الوردة الصغيرة على أصوات قادمة من ناحية سقف المنزل، فأخذت تنظر إلى المكان من حولها بدهشة، لقد كان كل ما حدث لها الليلة الماضية يدور في رأسها وكأنه أشياء مختلطة، كانت الرؤية أمامها تهتز بقوة، وبعد فترة دقت النظر فوجدت المكان يشبه ساحة المعركة، كما أن رأسها كان يشبه هو الآخر ساحة المعركة؛ فقد اختلط فيه الخيال بالحقيقة، فظنت الوردة أنها قد رأت رؤية مخيفة، كانت كل الأحداث تمر في مخيلتها وكأنها كابوس مخيف، فلما تذكرت حالها في الطين، بدأت ترتعش من جديد، لكنها اكتشفت مؤخرًا أنها مربوطة في الحائط، فدقت النظر في نفسها، وأدركت أنها قد أنقذت من بركة الماء والوحل، فلم تتمالك نفسها من الفرحة، ثم عادت بنظرها إلى الحديقة، وإلى المنزل فوجدتهما قد أصبحا خرابًا فتملكها شعور قوي بالذنب والخجل من نفسها، فظلت الوردة الصغيرة على تلك الحالة فترة لا تعرف ماذا تفعل!!

كانت الأجواء صامتة، ولم يكن هناك سوى صوت العمال الذين صعدوا إلى السقف لإصلاحه، فلما رأتها الشجرة العجوز قالت:

ها قد عدت مرة أخرى إلى الحياة، لقد ظننت أنك لن تستيقظي ثانية!

كانت الوردة الصغيرة تعرف أن ما قامت به كان شيئًا متهورًا، لهذا لم تجد ما تقوله سوى الاعتذار فقالت:

أنا آسفة.. آسفة جدًا، قالتها وهي تبكي، وترتعش، وكأنها قد أصيبت بالحمى.

فقالت لها الشجرة العجوز:

آسفة؟! بماذا سيفيد الأسف؟! إن ما حدث قد حدث، انظري إلى المكان لقد أصبح كساحة حرب، ولم يعد هناك شيء سليم في الحديقة، وقد أضفت بذلك إلى صاحب المنزل الحنون حزنًا على حزنه، لقد هدمت له حديقته وتكعبيته، بل ومنزله، انظري إلى هؤلاء العمال لقد جاءوا لكي يصلحوا ما تسببت في إفساده، ومن الممكن أن يستمر هذا العمل عدة أيام، وربما لن تعود الحديقة كما كانت من قبل.

أرادت الوردة أن تدافع عن نفسها فقالت: وما أدراني أن كل هذا سوف يحدث!! فقاطعتها الشجرة الكبيرة قائلة: اصمتي ولا تتحدثي، ألم أنبهك من قبل؟! لقد شرحت لك، ونصحتك كثيرًا، لكنك لم تستمعي إليّ، لقد قضيت علينا جميعًا بتصرفك المتهور، وأنا نيتك، وأتمنى أن تكوني قد أخذت

درسًا مما حدث، وأرجو أن لا تُقدِّمي على فعل مثل هذه الأفعال الجنونية مرة أخرى، وقد صدق القائلون: مصيبة أولى من ألف نصيحة.

ولم تخجل الوردة الصغيرة أن تسأل الشجرة الكبيرة عن معنى هذا المثل، فهي لا تعرف أشياء كثيرة، وكم هو ممتع أن تتعلم تلك الأشياء المفيدة. فقالت لها الشجرة العجوز:

إن هذا القول يعني أن المصيبة التي تحدث تعطي العبرة والعظة أكثر من ألف نصيحة، وأنا أظن أن المصيبة التي عشناها قد أثرت فينا جميعًا أكثر من كل النصائح!!

كانت الوردة الصغيرة ترتعش، وكانت تبذل جهدًا كبيرًا حتى تكمل الشجرة العجوز حديثها، ثم قالت:

نعم أنت على حق أيتها الشجرة الطيبة، وأعدك بعد هذه الحادثة أن أستمع بالتأكيد إلى كلام الكبار، وسوف أسألهم عن الأشياء التي لا أعرفها، حتى ما أظن أنني أعرفه ولم أفعله بشكل مباشر، بل سأستشير أصحابي، وكل من له دراية بالأمر أكثر مني.

فقالت لها الشجرة العجوز:

أحسنت أيتها الصغيرة يجب أن تستمعي إلى كلام الكبار، فالكبير يعني من رأى وسمع وعاصر أحداثًا وأشياء كثيرة، وهذا ما نُسَميه الخبرة والدراية.

بعد ذلك ابتسمت الشجرة الكبيرة ابتسامة خفيفة، وقالت:

إن الكبر يعني التجربة، والتجربة تعني كل الآلام التي عشناها في تلك الحياة، وأحب أن أقول سرًّا أرجو أن يكون بيننا، وهو أن بعض المخلوقات يظنون أنهم أصحاب خبرة مثلك!! والعكس هو الصحيح!!

كانت الشجرة الكبيرة عجوز للغاية، وقد أثرت فيها العاصفة التي تعرضت لها بالأمس وجعلتها متعبة منهكة القوى، لهذا فقد توقفت عن الحديث مع الوردة الصغيرة، لكي تخذل إلى النوم، فكانت تنام قليلاً وتستيقظ قليلاً، وفي تلك الفترة انتهى العمال من إصلاح سطح المنزل، ثم انصرفوا، وكانت الشمس تغيب خلف كتلة من السحاب الكثيف، وكان الطقس باردًا جدًّا، فبدأت الوردة الصغيرة تشعر بالعرشة من جديد، وكانت تتمنى أن تسطع الشمس وتسري أشعتها في أغصانها فتجعلها تشعر بالدفء.

وبعد لحظة شعرت الوردة الصغيرة كأنها تسمع صوتًا عذبًا رقيقًا، فلما دقت السمع انتهت إلى أنه صوت جميل للغاية، فظلت تبحث عن مصدر هذا الصوت، وفي النهاية وجدت حركة بسيطة

على غصن من أغصان شجرة اللوز، فرأت طائرًا جميلًا يقف على الغصن وفجأة بدأ يغرد في جمال وروعة، فقالت لها الشجرة الكبيرة إنه بلبل، ما أجمل تغريده!!
شعرت الوردة الصغيرة بدهشة غريبة، وشغف كبير يراودها لمعرفة قصة هذا البلبل، وكيف عرفت الشجرة الكبيرة أنه بلبل، ولماذا يقف على شجرة اللوز ويغني لها؟!
فبالتأكيد وقف على تلك الشجرة العجوز كثير من البلابل في أيام كثيرة مضت، وغنت لها، وكانت تريد هي الأخرى أن يقفوا عليها ويغردوا لها الأغاني الجميلة.
كان البلبل الصغير لا يبدو سعيدًا فكان يغني ويقول:

أنا طائر محبوب صغير

طرت كثيرًا ولم يجلب خاطرني

كان يقول تلك الأغنية بصوته الجميل، وبينما كان البلبل يغرد بتلك الأغنية تذكرت الوردة الصغيرة ما حدث لوردة اللباب على يد الأطفال والأغنام، وكم كانت تلك الأغنية التي ينشدها تشبه إلى حد كبير تلك الأغنية التي كانت تنشدها وردة اللباب.

وكم تمننت الوردة الصغيرة أن يأتي البلبل الصغير، ويحط على أغصانها، ويغرد لها، وذات مرة سمعتها الشجرة الكبيرة وهي تنشد قائلة:

يا برعمتي الصغيرة

شعرك صفائر صفائر

نظرت بطرف عيني

فتعلق قلبي

وسمعتها تقول: أه لو يأتي البلبل لي وأغني له تلك الأغنية.

ولأن الشجرة الكبيرة كانت شجرة لها خبرة طويلة فقد كانت تعلم كل تلك الأغاني، ولم تستطع أن تتمالك نفسها من الضحك، وقالت في نفسها: يا لهذه الوردة الصغيرة!! هل بقي عندها براعم؟!
وبدأت الشجرة تشعر بالحيرة لفترة من تفكير الوردة الصغيرة، فعادت تنصحها كما نصحتها بالأمس، فلما سمعتها الوردة الصغيرة صدقت على كلامها، وقالت لها: إنها على حق في كل ما قالته، وإنها سوف تسمع كلامها، لخبرتها الكبيرة التي تحترمها، ومن يعلم فربما أصبحت هي أيضًا في يوم من الأيام شجرة مسموعة ولها اعتبار مثلها.

وبينما هي تفكر في هذا الكلام إذا بالبلبل يغرد من جديد، وكان تغريده في تلك المرة أكثر حزنًا فقد غرد قائلاً:

لم ينضج عقلي، وطرت إلى الأيدي

إلى الأيدي الغريبة

إلى أيدي الدخان

إلى أيدي الغرباء!!

فقال الشجرة الكبيرة مستعربة:

ما هذا البلبل الحزين؟ إن ما قاله يحرق القلب!!

لم تستمع الوردة الصغيرة إلى ما قالته الشجرة الكبيرة، وأخذت تُعيد ما غناه البلبل قائلة:

لم ينضج عقلي، وطرت إلى الأيدي...

فقال لها الشجرة الكبيرة مازحة:

إن عقله مثل عقلك!! إلا أنه عقل طائر!!

وطار البلبل من على شجرة اللوز، وحلّق مرة أو مرتين بين الورود، فبدأ قلب الوردة الصغيرة يخفق بشدة؛ فقد كانت تود أن يحط على أغصانها، ولكنه لم يفعل، فقد حط فوق النافذة الواقعة بالقرب منها، فظهرت الفتاة الجميلة «وردة»، وكان لونها شاحبًا، فنظرت إلى البلبل فأعجبت به، وظل الطائر واقفًا في مكانه لبرهة صامتًا، ثم رفرف بجناحيه وطار في السماء، وفي تلك المرة حط على الشجرة الكبيرة، وبمجرد أن حط فوقها إذا به يُغرد بصوته الجميل، فشعرت الوردة الصغيرة بالغيرة؛ لأن الطائر لم يحط عليها، على الرغم من أنها وردة صغيرة يانعة، وحط على شجرة كبيرة معمرة، فأمسكت الوردة الصغيرة نفسها عن البكاء، وأدارت وجهها إلى الناحية الأخرى حتى لا يراها أحد.

كانت الفتاة لا تزال واقفة، وكانت تنظر إلى الدنيا من حولها نظرة كلها ألم، نظرة من فقد الأمل، وسلم نفسه إلى اليأس، كانت تنظر إلى شيء ما، ولكن لم يكن واضحًا ما هو هذا الشيء الذي تنظر إليه، فتذكرت الوردة الصغيرة بعض خيالات مما دار بالأمس، تذكرت أن الرجل قد أتى بابنته، وكان يحمل بعض الحقائب، وهذا يعني أن الرجل صاحب القلب الطيب قد عثر على ابنته، لكن من الواضح أن ابنته مريضة.

وبينما كانت الشجرة الكبيرة تتحدث إلى البلبل، كانت الوردة الصغيرة مهتمة بأمر الفتاة التي تقف في النافذة، فقد جعلت البنت كل من بالحديقة ينتبهون إليها بدون قصد.

أما الشجرة الكبيرة فقد انتبهت إلى البلبل بمجرد أن حط على أغصانها، فحدثته قائلة: أغلب الظن

أنك غريب، لاسيما أنك حزين!؟

لم يتدلل البلبل عليها، بل حدثها مباشرة، وأخبرها أنه جاء من مكان بعيد، وأنه ابن ملك الربيع، وكان يعيش في حدائق الورد التي لا نهاية لها، وأنه كان يغرد بأغانيه الجميلة فوق الورد ذات الألوان الخلابية، وأن الورد كانت تبادله الحب دون أدنى تدلل منها، وأنه كان يعيش حياة مفعمة بالحب والجمال، لكنه قال في نفسه ذات يوم: إنه يجب أن يبحث في هذا العالم عن حدائق أخرى وورود أخرى، وعن رائحة عبير أخرى، وذلك بعد أن سئم من تلك الحياة التي يحياها، فخرج من دياره، وطار بعيداً، لعله يجد ما يبحث عنه، لكنه تاه في الطريق، ولم يجد ما يبحث عنه، فواجهته العواصف العاتية، والأمطار الغزيرة، وفي النهاية لم يستطع أن يعود إلى وطنه، وهو الآن غريب يطير نادماً مشتاقاً إلى وطنه!!

كانت الوردة الصغيرة تستمع إلى كلام البلبل دون أن تقصد ذلك، وكلما كانت تسمع حكايته تظن أنها تسمع حكايتها، وهنا استيقظت مشاعرها المدفونة بداخلها مرة أخرى، وقالت في دهشة: يا الله!! لقد تعرض صاحب المنزل لهذا الأمر، ومرت ابنته بالتجربة نفسها!! فشعرت الوردة بالحزن الشديد بعد أن سمعت حكاية هذا الطائر المسكين الذي أراد أن يتخلص من قيوده هو الآخر فأصبح يعيش حياة بائسة تعسة!!

أما الشجرة الكبيرة فقد أخذت تسري عن هذا البلبل المسكين قائلة: هوّن على نفسك فهذا الكون به الكثيرون الذين لا يرضون بحياتهم، ويحملون الأفكار والمطالب نفسها، كما أنك لست الوحيد في تلك الدنيا الذي حاول وأخطأ في محاولته، ولست الشخص الوحيد الذي ظن أن الخطأ صواب!! سرّت كل تلك الكلمات عن الطائر الحزين، وقد أتلج هذا الحوار الذي دار بين الشجرة العجوز والبلبل صدر الشجرة الصغيرة، وأراحها خاصة عندما قالت للبلبل: انظر كم تتشابه حياتك مع حياة تلك الوردة الصغيرة قليلة الخبرة، فقد أطفأت نيران الغيرة والحسد التي كانت تتأجج بداخلها، فلما نظر البلبل الصغير إلى الوردة الصغيرة بطرف عينه ابتسم، ففرحت الوردة الصغيرة جداً، فهذه هي المرة الأولى التي يشعرها فيها بالسعادة، فقالت في نفسها: هذه هي الحرية الحقيقية!!

فقالت الشجرة الكبيرة لها: إن هذا هو الحب الحقيقي يا صغيرتي، ثم ابتسمت، وحينئذٍ خجل البلبل والوردة الصغيرة معاً.

وفي المساء عاد صاحب المنزل وفي يده لفاقة طعام، ويحمل تحت إبطه لوحاً زجاجياً كبيراً، ودون أن يضيع وقته، قام بتنظيف مكان الزجاج المكسور المجاور للوردة الصغيرة، وعلق اللوح الجديد مكانه وكان الرجل يخرج بين الحين والآخر، أما البنت فكانت لا ترى أبداً، فقد كانت لا تغادر المنزل أبداً، وكانت الورد شغوفة جداً بهذا الأمر، وكانت لا تطيق صبراً على عدم

خروجها ومحادثتها لهم، ولا يعلم أحد منهم ماذا حدث لها؟! وهل تعرضت لحادث ما أم ماذا؟! أم هل أصيبت بمرض ما؟!!

لماذا لا تخرج إلى الحديقة أبداً؟! آه لو تخرج وتحديثهم فإنها بذلك تنهي قلقهم وشغفهم!! وفجأة أضاء المنزل أنواره في ساعة متأخرة من الليل، واستيقظ الرجل وابنته، وكذلك استيقظ كل من في الحديقة، لكن استيقاظ الرجل وابنته في هذا الوقت المتأخر كان يُنبئ بوجود خطر كبير، فأصبح كل من في الحديقة يتابع المنزل عن كثب.

وفي تلك اللحظة خرج صاحب المنزل خائفاً، ثم دفع باب الحديقة وهرب في الظلام، وبعد نصف ساعة تقريباً عاد أدراجه مع رجل آخر يحمل حقيبة، فسمعت الورد صاحب المنزل وهو يقول للرجل: أسرع أيها الطبيب.. أسرع!!

فأيقظت الورد الصغيرة الشجرة الكبيرة، وقالت لها: قومي بسرعة، يبدو أن الأنسة «وردة» تمر بمشكلة صحية كبيرة، فقد أحضر لها والدها الطبيب، وهو على عجلة من أمره!! كانت الشجرة الكبيرة تبدو كأنها تترنح من شدة التعب، فقالت:

طبيب، هل أصبحت «وردة» طيبة؟ فابتسمت الورد الصغيرة، وأوضحت الأمر للشجرة الكبيرة، فخافت الشجرة الكبيرة عندما سمعت ذلك وقالت: ماذا يحدث لنا؟ أئن نعيش يوماً واحداً بدون آلام؟

وطال مكث الطبيب بالداخل، وكلما طال مكثه ازداد قلق كل من في الحديقة، وبعد فترة خرج الطبيب وقال لوالد «وردة»:

لا تقلق أيها الرجل الطيب لا يوجد ما يخيف؛ كل ما في الموضوع أن البنت ينتابها حالة من الخوف والحزن، وإذا عاشت فترة نقاهة فإنها ستعود لحالتها الطبيعية، ولا تنس أن تعطيها هذا الدواء في ميعاده.

ظل البلبل يغرد طوال الليل، وأضاف صوته إلى صوت النهر الصغير المستيقظ جمالاً وروعة، فشعرت الورد الصغيرة أنها قد تحسنت، وشعرت أن المياه تجري في عروقها وأغصانها وأوراقها، وأنها تحيا من جديد، حتى براعمها الجديدة كانت على وشك التفتح لتصبح وروداً جديدة.

الحديقة تحتفل

بدأت حياة جديدة في المنزل بقدوم «وردة» إليه، فقد ازداد عدد القادمين إليه، فقد جاء الطبيب والمرضى الذي يعطي الحقن، وأصدقاء والدها، وكان القادمون إلى المنزل يعيشون في حالة من صراع المشاعر؛ فالرجل أصبح بجوار ابنته أخيراً، ولكن مع الأسف كانت البنت مريضة، ولهذا كان القادمون لا يعرفون ماذا يقولون، هل يهنئون الرجل على قدوم ابنته ثانية، أم يدعون لها بالشفاء العاجل، حتى صاحب المنزل نفسه كان حائراً بين كل تلك المشاعر المختلطة، فقد كان فرحاً بسبب رجوع ابنته، وحزيناً في الوقت نفسه على مرضها، كان يعيش بين الحزن تارة والفرح تارة أخرى، ولم تكن لديه أية مطالب أو رغبة في شيء سوى شفاء ابنته، وعلى أية حال كان القادمون لزيارته يسلمون عنه، ويهنون عليه كربته.

وأحياناً كان يأتي مع أصدقاء الرجل زوجاتهم وأولادهم، وكانت الزوجات يساعدن في تنظيم شؤون المنزل والحديقة، أما الأولاد فقد كانوا لا يدخلون المنزل كثيراً، بل كانوا يقضون معظم أوقاتهم في الحديقة يلعبون ويمرحون، وكانت كل تلك الأوضاع الجديدة تسلي الموجودين في الحديقة بعد تلك الأيام الرهيبة التي مروا بها، وكانت ألعاب الأطفال وضحكاتهم ومسابقاتهم في الحديقة تبهج كل الورود خاصة الشجرة الصغيرة.

وعندما شاهدت الشجرة الكبيرة هؤلاء الأطفال الذين يلعبون في الحديقة في حب، تذكرت هؤلاء الأطفال المشاغبيين الذين أتوا من قبل، وخرّبوا كل شيء من حولهم، وأدركت أن هناك فرقاً كبيراً بينهما، فالذين أتوا مع أغنامهم دمروا كل شيء، أما هؤلاء الذين أتوا مع آبائهم وأمهاتهم فقد كانوا يلعبون ويمرحون في الحديقة دون أن يلمسوا شيئاً، بل كانوا يحاولون بشتى السبل ألا يقطعوا شيئاً حتى ولو ورقة صغيرة!!

وكان من بين هؤلاء الأطفال فتاة جميلة ذات شعر أصفر، وعينين صغيرتين، ووجه باسم، فلما انتبهت الطفلة إلى الوردة الصغيرة شغفت جداً للتعرف عليها، فقررت أن تقترب منها لتتعرف عليها أكثر وأكثر، فلما بدأت تحمق في الوردة الصغيرة بدهشة من فرط جمالها، بدأ قلب الوردة الصغيرة يخفق بسرعة كبيرة، فقد ظنت أن الطفلة ستقوم بقطف براعمها الصغيرة التي أخفتها من أجل البلبل، وصاحت بصوت مسموع يُسمع منه ألم القلب أكثر من ألم الروح، وظنت الوردة الصغيرة أنها ستتعرض لمصيبة جديدة، فلما انتبهت الشجرة الكبيرة للوردة الصغيرة، وما اعترأها من خوف وألم ابتسمت قائلة:

لا تخافي، إن التعرف على الناس يحدث تدريجيًا، فقط عليك أن تتظري إلى وجوههم، فمثلًا هل يبدو وجه هذه الطفلة لك أنها مشاغبة؟!!

وبمجرد أن أنهت الشجرة الكبيرة كلامها، اقتربت الفتاة من الورد الصغيرة، وقربت وجهها من براعمها الصغيرة، ثم وضعت يديها خلف ظهرها، وأغمضت عينيها، وراحت تشم براعمها بعمق، ثم فتحت عينيها، وقد ارتسمت على وجهها علامات الفرح والسرور، ثم ذهبت إلى أصدقائها في هدوء.

وبعد قليل سحب الآباء والأمهات أطفالهم، وانصرفوا إلى بيوتهم، وظل الرجل وابنته في المنزل.

وفجأة سمعت الورد الصغيرة صوتًا لم يكن غريبًا عليها، لقد كان صوت سيارة، فقالت للشجرة الكبيرة هل تسمعين هذا الصوت؟!!

فقالت الشجرة الكبيرة: صوت ماذا؟!!

فقالت الشجرة الصغيرة: وماذا سيكون إنه صوت سيارة، فقالت الشجرة الكبيرة: إن سمعي أصبح ضعيفًا بعد العاصفة الأخيرة، وما زلت لا أسمع صوت السيارة، فلما اقتربت السيارة من المنزل بدأت تميز صوتها.

كانت السيارة سيارة الشرطة، وفيها ثلاثة من رجال الشرطة وقد بقي في السيارة شرطي، ونزل شرطيان، ثم اتجها إلى المنزل، فقالت الشجرة الكبيرة وهي خائفة: خيرًا إن شاء الله.

لكن الورد الصغيرة لم تتمالك نفسها وقالت:

ماذا تفعل الشرطة بمنزلنا؟!!

وبمجرد أن وصل الشرطيان إلى باب المنزل، فتح صاحب المنزل الباب بسرعة قبل أن يطرق الشرطي عليه، فقد سمع الرجل صوت آلة التتبيه فعلم أن الشرطة بالباب.

دار حوار قصير بين رجال الشرطة وصاحب المنزل، فحاولت الورد أن تعرف ماذا في الأمر، فحاولت جاهدة أن تسمع ما يقولون، لكنها فشلت في ذلك، ولم تسمع سوى جملة صغيرة قال فيها رجل الشرطة: هل يمكن أن تأتي معنا إلى مخفر الشرطة؟

فدخل الرجل المنزل بسرعة، وارتدى ملابسه، وركب السيارة، ثم انصرفوا جميعًا.

فظلت الورد في حيرة من أمرها، وأخذت تتهاشم فيما بينها قائلة: لماذا أخذت الشرطة صاحب

المنزل وانصرفت؟! هل يمكن أن الرجل قد ارتكب جرمًا؟

وأخذت كل وردة تفسر الموضوع حسب رؤيتها، لكن الشجرة الكبيرة أوصتهم بأن يتركوا التفكير في هذا الأمر، وأن يدعوا الله أن يُعيد الرجل إلى بيته بسلام، وعندما يعود سيعرفون منه كل شيء.

وبعد مرور ساعة تقريباً عاد الرجل، ودخل إلى بيته دون أن يتكلم بكلمة واحدة، فازداد شغف الورود، لكن الشجرة قالت في حكمة:
مادم قد عاد فالأمر ليس مهماً.

وفي المساء عادت سيارة الشرطة مرة أخرى، وعندما توقفت أمام المنزل نزل منها رجلان مكبلان بالأغلال في حراسة رجال الشرطة، وأدخلاهما إلى الحديقة، وبمجرد أن دخلا إلى الحديقة تعرفت الوردة الصغيرة على واحد منهما من خلال عينيهِ الضخمتين، وفي هذه اللحظة زال جزء كبير من شغف الورود، حيث قالت الوردة الصغيرة في دهشة وألم:

لم أنس تلك اللحظات العصيبة التي عشتها مع تلك العينين الجاحظتين!!
فقالت الشجرة الكبيرة مستغربة: أنا لا أفهم شيئاً!!

فقالت الوردة الصغيرة: إن هذين الرجلين المكبلين هما من هجما على المنزل ليلاً، وأفسدا الحديقة، وجرحا صاحب المنزل، فقالت الشجرة الكبيرة: نعم.. نعم لكن، ألم يكونوا ثلاثة؟!
فقالت الوردة الصغيرة: نعم أنت على حق، لقد كانوا ثلاثة، فهل يا ترى لم يقبضوا على الرجل الثالث؟!
الثالث؟!!

وطلب رجال الشرطة من الجناة أن يمثلوا الجريمة كما ارتكبوها بالضبط، وفعل الجناة ما طلب منهم، فعاشت الوردة، وكل من في الحديقة الذكريات المؤلمة لتلك الحادثة ثانية، ولكن في هذه المرة بدون أي أضرار على الورود أو الأشجار، وشاهدت ما قام به الجناة بالضبط من تسلل إلى المنزل تحت جناح الظلام، ودخولهم إلى الحديقة، وضربهم لصاحب المنزل.
وكان رجال الشرطة يسألونهم بين الحين والآخر بعض الأسئلة المهمة، وأحياناً كانوا يطلبون منهم تكرار حدث معين عدة مرات.

وعلمت الوردة الصغيرة من خلال الأسئلة والأجوبة التي كانت تدور بين رجال الشرطة والجناة أن المجرم الثالث قد قُتل بعد أن هجم هو وزميلاه على أحد الرجال الذين يعيشون بمفردهم لسرقة أمواله، لكن الرجل ضربه بألة حديدية كانت معه فسقط المجرم جريحاً، ونقل إلى المستشفى، ومات هناك، وقد تمكنت الشرطة من معرفة مكان هذين الرجلين منه قبل موته بقليل.

فقالت الشجرة الكبيرة بصوت فيه شجن:

أرأيتم أن الظلم لا بد له من نهاية، فقد تم القبض على الجناة، وسوف يلقون عقابهم، أما من قتل فقد لقي عقابه في الدنيا، وانتقل إلى الدار الآخرة لينال عقابه من الله.

فردت عليها الوردة الصغيرة: نعم أنتِ على حق.

وعندما أراد الجاني أن يمثل أمام رجال الشرطة كيف وقف بجوار النافذة ليراقب المنزل من الداخل فاستند على الوردة الصغيرة، فأرادت أن تغرس أشواكها في ذراعه مرة أخرى، لكن للأسف كان في هذه المرة مكبلاً بالحديد فلم تتمكن الوردة من الوصول إلى ذراعه، وبعد أن أنهى رجال الشرطة مهمتهم ركبوا السيارة جميعاً وانصرفوا.

فرح صاحب المنزل كثيراً بعد القبض على هؤلاء الأشرار الذين أروه ليلة من أصعب ليالي حياته.

وهنا شعرت الوردة الصغيرة والشجرة الكبيرة بالراحة والطمأنينة بعد تلك الأحداث العصبية التي عاشوها خلال الأيام الماضية، فقالت الوردة الصغيرة: كم هو أمر جميل أن يُقبض على اللصوص والأشرار!

فردت الشجرة الكبيرة: بالتأكيد فذلك يُخوِّف كل من يفكر في ارتكاب جريمة أو أي فعل أحمق، وأتمنى أن ينصلحوا، ويعودوا إلى المجتمع أسوياء من جديد.

ظل الرجل طوال اليومين الماضيين يعتني بابنته «وردة»، ولا يخرج إلى الحديقة ليعتني بها، وقد كان هناك من يرعى الحديقة لكن ليس كما كان يقوم صاحب المنزل بذلك؛ فقد طالت الحشائش جدًّا، ومازالت بعض أجزاء السور الخشبي مكسورة، والتكعيبية في حالة سيئة، حتى زهور دوار الشمس أصبحت في حالة سيئة للغاية، أما الوردة الصفراء فقد جفت أوراقها تمامًا!!

وكان صاحب المنزل وابنته يُشاهدان الحديقة أحياناً من داخل المنزل، وفي اليوم الثالث خرج الرجل وابنته إلى الحديقة في المساء، فبدأت الوردة الصغيرة تنظر إلى الفتاة «وردة» بتركيز شديد، وكانت ترغب بشدة في التحدث معها، لكن «وردة» كانت لا تتحدث قط، فتجول الرجل وابنته في الحديقة، ثم جلسا تحت التكعيبية، وبعد أن نالا قسطاً من الراحة، واستنشقا الهواء المنعش دخلاً مرة أخرى إلى المنزل.

وقد كانت هذه إشارة مفرحة بأن الجميلة «وردة» ذات القلب الطيب قد بدأت تتحسن شيئاً فشيئاً.

رسالة وردة

كان صباحًا جميلًا، فقد كان صوت خرير الماء، وتغريد البلبل ينتشران في المكان، حتى الورود استيقظت مبكرًا، وهي فرحة ونشيطة، وكانت الوردة الصغيرة كلما سمعت صوت تغريد البلبل تغيب عن وعيها، وتتمنى من كل قلبها أن يحط على أغصانها ليغني لها. أما صاحب المنزل فقد استيقظ مبكرًا هو الآخر، وأخذ يندن بأغانٍ سعيدة، وبدا أنه قد اختفت عن وجهه كل علامات الغم والحزن، وأصبح سعيدًا باسمًا، فمر بالحديقة، وقام بإصلاح السور، وأصلح التكعيبية، ومد عليها الأغصان التي كانت معلقة عليها من جديد، ووضع المنضدة في مكانها.

وكانت المفاجأة أن خرجت «وردة» من باب المنزل، واتجهت نحو الحديقة وهي تحمل بين يديها طعام الإفطار الذي أعدته بنفسها بعد أن شعرت أن والدها قد بذل مجهودًا كبيرًا، ويحتاج إلى تناول الطعام والراحة.

وجلس الأب وابنته يتناولان إفطارهما أسفل التكعيبية، وأخذا يتحدثان عن الذكريات المؤلمة فيكيان، ويتحدثان عن الذكريات السعيدة فيضحكان، وكانت الورود تستمع إلى بكائهما فتحزن معهما، وتستمع إلى ضحكاتهما فتضحك معهما أيضًا.

كانت الوردة الصغيرة سعيدة للغاية؛ لأن الحديقة سوف تُنظّم من جديد، فقالت في فرح وسرور: أشعر أن هذا المكان سوف يكون أفضل مما سبق بكثير، وقالت للشجرة الكبيرة: سترين أن هذا المكان سوف يصبح كأنه قطعة من الجنة!!

فردت الشجرة الكبيرة عليها وهي باسمة فقالت:

وكيف عرفت؟

فأجابتها قائلة: أُخمن، فالمكان إذا كان يملؤه الحب والسعادة فإنه يتحول بإذن الله إلى جنة.

فقالت لها الشجرة الكبيرة: أحسنتِ على هذا التفكير.

وبالفعل شمر صاحب المنزل عن ساعديه، وعمل بجد واجتهاد في الحديقة حتى جعلها أفضل مما كانت عليه بكثير، وأصبح المنزل هو الآخر في أبهى صورة، وكان لا بد من ظهور لمسات الجميلة «وردة» فقد قامت هي الأخرى بتنظيف المكان أسفل التكعيبية، وجعلته في غاية الجمال والروعة؛ مما جعل الوردة الصغيرة تقول في نفسها: آه.. لو أنزل فأجلس أسفل تلك التكعيبية، وكما

جالت تلك الأفكار بعقلها، كانت تتذكر تلك الأحداث المؤلمة التي مرت بها عندما فكرت أن تتخلص من قيودها فأفلحت عن هذا التفكير على الفور.

وبعد أن عادت «وردة» إلى حالتها الطبيعية لم يعد الرجل يهتم بالحديقة كما كان في الماضي، فقد عهد بهذا الأمر إلى ابنته، وتفرغ هو لعمله، لكنه كان يقوم بالأعمال التي قد تكون صعبة على ابنته كتقطيع الحطب، وعمل الترميمات، أما الأعمال الخفيفة، فكانت من نصيب «وردة»، ولم يغضب هذا التغيير الوردة الصغيرة ولا الورود الأخرى؛ لأن هذا التغيير عرفهم «وردة» عن قرب، وقد رعت الفتاة الحديقة باهتمام وحب، فكانت تسقيها بانتظام، وتربط الأحبال الجميلة على الحائط لتتسلق عليها الأغصان، وكانت تكسر الأغصان الجافة، وتقطع الحشائش من تحت جذوع الأشجار، كما قامت بغرس بذور لبلاب جديدة بدلاً من شجرة اللبلاب التي تعرضت للحادثة المؤلمة.

ومرت الأيام، وأخرجت البذور براعمها من الأرض، وبدأت تصعد على الحبال، وتعلو يوماً بعد يوم، وكانت الفسيلة الصغيرة سعيدة كل السعادة؛ لأن مكان جارتها العزيزة شجرة اللبلاب قد امتلأ من جديد.

وبدت شجرة الورد الصغيرة في أبهى صورتها بعد أن اهتمت بها الجميلة «وردة»؛ لذا فقد لفتت الشجرة انتباه البلبل، وبدأ يطير حولها، ويحط على أغصانها، ويغني من أجلها، وكانت «وردة» تلاحظ ذلك.

وذات صباح حط البلبل على أغصان الوردة الصغيرة، وراح يغني أغنية جميلة، فطارت الوردة الصغيرة من الفرحة؛ وشعرت بشعور لم تشعر به من قبل، وخجلت خجلاً كبيراً، وقالت في نفسها: أكاد أطير من السعادة!!

كانت الشجرة الكبيرة تنظر إليها وتبتسم، فقد كانت ترى فيها شبابها، وذكرياتها الجميلة التي تشبهها تماماً!!

وابتسم الرجل أيضاً، وابتسمت الجميلة «وردة»، وكل من في الحديقة ابتسم، وابتسمت الشمس في السماء، وكذلك القمر والنجوم، وكم كان هذا شيئاً جميلاً رائعاً، أضفى على الكون من حولهم جمالاً وبهاءً، كانت الفتاة «وردة» تتحدث مع والدها، وتبوح إليه بآلامها، وكانت الوردة الصغيرة تسمعها وتشاركها آلامها، وكانت عندما تستمع حديثهما تحاول أن تعرف قصة صديقتها «وردة» التي عرفت نصفها فقط.

وكانت الشجرة الكبيرة شغوفة أيضًا بهذا الأمر جدًا خاصة أنها تعلم قصة «وردة» حتى هروبها فقط، وهناك فترة مهمة ومبهمة بالنسبة إليها لا تعرفها، وكانت شغوفة بشكل مثير لكي تكمل قصة هذه الفتاة، وتعرف الإجابة عن كثير من الأسئلة التي حيرتها، كانت تريد أن تعرف إلى أين هربت الفتاة؟ وماذا فعلت في هذه الفترة؟ ثم لماذا عادت؟ وكيف مرضت؟! وكيف عرف صاحب المنزل طريقها؟! لكنها لم تفلح في إيجاد إجابة عن كل ذلك، أما الوردة الصغيرة فقد تفوقت عليها، وحصلت على إجابات كل تلك الأسئلة، فقد كانت تتمتع بحاسة سمع أقوى من الشجرة العجوز، كما كانت عيونها حادة، وذهنها حاضرًا يربط الأحداث ببعضها في ذكاء وسرعة بديهة.

ولم تبخل الوردة الصغيرة على الشجرة الكبيرة بهذه المعلومات، فقد أرادت أن تزيل شغفها من ناحية، وتعطي النضارة والحيوية لأيامها من ناحية أخرى.

فحكّت لها قائلة:

كان يومًا شتويًا باردًا، وكان الثلج يرتفع عن الأرض بمقدار نصف متر، وكانت الجميلة «وردة» تجلس بين أربعة حوائط بمفردها، فأصابها الضيق والملل، فقررت أن تذهب إلى إحدى صديقاتها، فتحدثت معها عن حالة الملل الغريب الذي تشعر به، فحركت هذه الفتاة في رأسها فكرة الهروب من المنزل، فقالت لها:

ماذا تنتظرين؟ هيا ارحلي من هذا المكان، إنه يشبه السجن، وسوف تجدين في المدينة مكانًا بين الفنانين على أغلفة المجلات وصفحات الجرائد فهؤلاء الفنانون كانوا في بداية حياتهم سجناء لزنزانات كالتي تعيشين فيها، ثم تحرروا منها وأصبحوا مشاهير.

فقالت لها «وردة»: إذن هيا لنرحل معًا. فقالت لها البنّت:

لا.. اذهبي أنتِ أولاً، وسوف ألحق بك بعد يوم أو اثنين. وبالفعل جمعت «وردة» ملابسها، وتركت منزلها ورحلت، وتركت والدها الذي أحبها حبًا جمًّا وحيدًا مقهورًا.

لقد فكرت الفتاة الصغيرة، وحزمت أمرها، وخرجت من المنزل في طقس شتوي قارس، خرجت من دون تخطيط أو تفكير!! خرجت دون أن تحسب خطواتها جيدًا، وتعرف ماذا ستفعل، أو إلى أين ستذهب، خرجت دون أن تعرف كيف ستكون الحياة في المدينة الكبيرة؟!!

وأكملت الشجرة كلامها قائلة: كانت «وردة» على وشك الموت من الخوف، وهي تترك منزلها، وكانت تظن أن كل رجل يقابلها في الطريق أنه والدها، فأصبحت تراقب نظراتهم لها في اضطراب وقلق، وكأنهم سيسوقونها إلى بيتها مرة أخرى، أو ربما سيأخذونها إلى مكان ما ليقتلوا!!

فركبت «الميني باص»، وذهبت إلى بلدة مجاورة، وبذلك قلت فرص عثور والدها عليها، وهناك ركبت الأتوبيس المتجه إلى «إستانبول»، وألقت بنفسها في حضن تلك المدينة الواسعة وقد شعرت «وردة» بالندم وهي داخل الأتوبيس، وكانت على وشك البكاء عندما تذكرت شعور والدها عندما يصبح فلا يجد ابنته الغالية، وبينما كانت على وشك العودة، إذا ببعض الأفكار السوداء تطغى على عقلها مرة أخرى، فتذكرت أنها سوف تعود إلى الأسر في المنزل، وأن الهروب هو فرصتها في النجاة من هذا الأسر، ولأن تلك الأفكار كانت تجثم على عقلها وقلبها منذ فترة؛ لذا فقد استسلمت لها، ولم تترك لعقلها أي مجال للندم.

كانت الفتاة في «إستانبول» تشبه الطائر الغريب الذي لا وطن له ولا صاحب، وكان الشيء الوحيد الذي جعلها تثق قليلاً في نفسها هو أنها قد أخذت معها الكثير من المال والحلي، لكنها شعرت بالخوف والقلق من جديد بعد أن أدركت أن هذه الأموال لن تنفعها كثيراً، وهي فتاة وحيدة في مدينة كبيرة كهذه لا تشبه بلدتها الصغيرة، فهي مزدحمة للغاية، والناس فيها مثل الرمال، ولا أحد يعرف أحداً، وهم يسировون في جماعات غفيرة، وكأنهم يُساقون إلى المحشر، وبمجرد أن نزلت من الأتوبيس حتى بدأت مضايقات الشباب الذين ألقوا بأنفسهم بين براثن الشيطان لها، فحارت الفتاة ماذا تفعل؟!!

كانت «وردة» تحكي قصتها لأبيها والوردة الصغيرة تسمع، وكانت تقول في ندم وحرز: أه.. لو كان عندي عقل وقتها، هل كنت أفعل ذلك؟

كيف أضع نفسي في هذا الموقف الغريب؟! كيف ساقنتني قدامي إلى ساحة انتظار السيارات لأقف بمفردي، وفي يدي حقيبة ملابسي، وأعرض نفسي لمضايقات أولئك الفاسدين؟! لكن لا تزال الدنيا بخير، ولن تخلو من الصالحين، فقد نزل من الأتوبيس رجل في متوسط العمر، له وجه نوراني، فعرض عليها المساعدة، فصارت الفتاة قليلة الحيلة خلفه، فذهب بها إلى أحد الفنادق الصغيرة، وأجر لها غرفة.

فهرعت الفتاة المسكينة إلى غرفتها، وهي في غاية التعب، وكانت تريد أن تنام عدة أيام، فظلت في غرفة بمفردها تبكي، وتخشى الخروج من غرفتها، وفجأة اشتعلت بداخلها الرغبة في العودة إلى أبيها، لكن للأسف فقد أطفأ غرورها هذه الرغبة، على الرغم من شوقها الشديد إلى رؤية والدها، إلا أنها عادت وقاومت الشعور بالرجوع مرة أخرى.

ومرت الأيام، وبدأت الفتاة تبحث عن عمل، لكنها لم تجد، فتعرفت على بعض الفتيات، كما بدأت تتعرف على تلك المدينة الشاسعة، وأدركت أن الحياة فيها ليست كما تخيلتها أبداً، فقد بدأت تشعر

بالممل والضجر من تلك الحياة اللاهثة، فبينما كانت تبحث عن حياة جديدة كلها فرح ومرح ونشاط وحيوية، إذا بها تجد حياة كلها آلام ومصاعب وزحام وضجر!!

وقد لاحظت المرأة التي تدير الفندق «وردة»، وكانت امرأة طيبة القلب على خلق، وقد رأت طوال فترة إدارتها للفندق فتيات كثيرات مثل «وردة»، وكانت تعلم أن كلهن قد انتهى بهن المطاف إلى نهاية غير سعيدة؛ لذلك فقد بدأت ترعاها، وتعينها على حياة المدينة الصعبة، وتقدم لها النصائح المهمة عن أولئك الذين تركوا أهلهم وعشيرتهم، وأتوا إلى المدينة من أجل الشهرة والمال من أقصر الطرق ودون تعليم أو دراية فكانت عاقبتهم وخيمة، ولو أنها انساقت خلف هذا التيار الجارف فقد تلاقي المصير نفسه فاقتنعت «وردة» بكلامها، فأسندت إليها المرأة الطيبة بعض الأعمال في الفندق لتقوم بها، لكنها لم تستطع أن تستمر طويلاً في هذا العمل بعد أن تدهورت صحتها، ولم تتحمل أداء هذه الأعمال وهي الفتاة المدللة التي نشأت في بيئة مرفهة لا تعرف العمل قط.

وبمرور الوقت نفذ ما معها من مال، كما باعت حليها قطعة قطعة، وبدأت مشاعر الوحدة تقتلها أكثر من مشاعر العوز إلى المال. وكانت صاحبة الفندق قد أحببتها، وأرادت أن تقدم لها يد العون فقالت لها: انظري يا ابنتي أنا امرأة وحيدة ليس عندي أبناء، وسوف أعتني بك كأنك ابنتي تماماً. وبدأت وردة تعمل في الفندق وتساعد المرأة، وبمرور الوقت بدأت تستعيد عافيتها، وعاشت فترة طويلة هناك، وكانت خلال تلك الفترة تحترق بين مشاعر الشوق والوحدة والفراق.

وذات يوم توفيت المرأة، وأصبحت وردة وحيدة مرة أخرى، ولم يمر وقت طويل حتى أتى ورثة المرأة، وبيع الفندق، وأصبحت وردة بغير مأوى، فكتبت خطاباً إلى والدها تطلب منه العفو وتعلن ندمها على فعلتها، وبينما كانت تنتظر الرد بفارغ الصبر، عاد إليها الخطاب الذي أرسلته وعليه عبارة: لم يُستدل على صاحبه، فشعرت بالمرارة الشديدة، وأحست أنها بلا حيلة، وأنها فقدت كل آمالها.

لكنها قاومت الشعور باليأس، وعملت مربية للأطفال في أحد المنازل، لكنها مع الأسف كانت تقوم بكل أعمال المنزل بالإضافة إلى رعاية الأطفال، فبدأت تشعر بالتعب الشديد، وبدأت صحتها تتدهور يوماً بعد يوم، حتى شحب لونها، ولم تعد قادرة على الوقوف على قدميها!!

وذات يوم قابلت وردة أحد أصدقاء والدها فطارت من الفرحة، وأرسلت معه رسالة إلى والدها، وقد كان هذا الخطاب بمثابة الدواء الذي أزال جميع آلام وأحزان تلك الفتاة المسكينة أما بقية القصة فأنت تعرفينها.

فقال الشجرة العجوز: كم هي قصة مؤثرة لكنها طويلة، كاد نفسي ينقطع معها، ثم قالت كأنها تصرخ بما يجول بداخلها:

أشعر أنه ما زال في عمري بقية لأعيش بقية أحداثها!!

أما الورد الصغيرة فقد كانت سعيدة جدًا لأنها أصبحت صديقة «وردة» الجميلة، كما أصبحت حبيبة البلبل ذي الصوت الشجي، وكانت تقول له: يا للغرابة والدهشة، لقد فعلت أنا وأنت و«وردة» الخطأ نفسه، ثم جمعنا القدر معًا، وجعلنا أصدقاء أوفياء، وإن شاء الله لن نفترق أبدًا.